منشورات مركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي

مذكرات
انور باشا
في طرابلس الغرب

تقديم وترجمة
عبدالمولى صالح الحرير

مراجعة
حبيب وداعة الحسناوي

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

١٩٧٩

المحتويات

الإهداء

إلى أرواح . . .
كل من أشهروا السلاح . . .
في وجه الغزاة الإيطاليين . . .
. . . أهدى ترجمة هذه اليوميات .

المترجم

شكر وتقدير

يطيب لى أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من ساهم فى إخراج هذه المذكرات إلى حيّز الوجود بشكلها الحالى . وأخص بالشكر الأخ جاد المولى على إبراهيم ، الذى قام بقراءة ترجمة المذكرات وأبدى تصحيحات جوهرية فيما يتعلق بالمسائل اللغوية . كما أشكر أيضًا الأخ محمد بن غالى الذى قرأ بكل اهتمام وحماس التحقيق الذى أعددته حول هذه اليوميات والظروف التي واكبت قدوم أنور باشا وفترة نضاله في البلاد . كما أخص بالشكر الأخ عبد الله الهوني الذى قرأ جزءًا من المذكرات وأبدى تصحيحات لغوية غاية فى الأهمية .

أما الأخ حبيب وداعه الحسناوى فإنني عاجز عن شكره نظرًا لما قام به من مجهود عظيم في مراجعة مسودة الترجمة من اللغة الانجليزية إلى العربية . في الواقع يعود له الفضل في تقديم ترجمتي بإبداء تعليقاته الصائبة التي كانت ودائما في محلها . إن نقده السليم دعاني إلى أن أمعن النظر في كثير من المسائل اللغوية التي التبس عليَّ أمرها . كما أشكر الأخ الدكتور عماد الدين غانم الذى تفضل مشكورًا بتزويدنا بوثيقة حصل عليها من أرشيف وزارة الخارجية الألمانية الغربية . وهذه الوثيقة تتعلق بقضية نشر مذكرات أنور باشا ونقلها إلى الالمانية . فقد قام د. عماد الدين غانم بترجمتها لنا إلى العربية وأثبتناها في الملحق السابع .

وينبغى ألا يفوتني أن أسجِّل شكرى إلى الحاج محمد الاسطى الذى أرشدني وترجم لى بعض الوثائق المتعلقة بأنور باشا . وأشكر أيضا الأستاذ رفعت أبو الحاج الذى أفادني إفادة كبيرة بإرشادى إلى ما نشر عن أنور باشا من كتب ومقالات . وختامًا أشكر الأخ الدكتور محمد الطاهر الجرارى المدير العام لمركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي الذى تفضل بنشر هذه المذكرات على حساب المركز .

عبد المولى صالح الحرير

لوس انجلس ٣١ مارس ١٩٧٩ م

مقدمة المترجم إلى اللغة العربية

منظمة تشكيلاتي مخصوصة السرية وأدوارها في حركة النضال الوطني

١٩١١ - ١٩١٨

ارتبطت حركة الجهاد التي قادها الأتراك ضد الغزاه الايطاليين في الفترة الواقعة ما بين نوفمبر سنة ١٩١١ وحتى ديسمبر سنة ١٩١٢ م ، ارتباطا وثيقا « بمنظمة الضباط الفدائيين الأتراك » . وعلى الرغم من أن دور هذه المنظمة السرية انتهى رسمياً بمقتضى التوقيع على معاهدة اوشي / لوزان إلا أن بعض الضباط المنتمين إليها ظلوا على اتصال بحركة الجهاد في طرابلس الغرب وبرقة من حين إلى آخر حسبما أملته الظروف السياسية للامبراطورية العثمانية حتى نهاية سنة ١٩١٨ م .

والسؤال الذى قد يتبادر إلى الأذهان هو :— ما هى منظمة الضباط الفدائيين ومتى أنشئت وما علاقتها « بالجهاد الليبي » وما أهدافها وما طبيعة الأعضاء البارزين فيها وما الأدوار التي لعبتها في تلك الفتره وما مصادر تمويلها ؟

كانت هذه المنظمة جزءا من تنظيم سرى يعرف باسم « تشكيلاتي مخصوصة » وهى منظمة عثمانية سرية غامضة مهمتها الأساسية الأمن الخارجي للامبراطورية ومكافحة التجسس الأجنبي عليها وكان معظم المنتسبين إليها لهم صفة عسكرية . كان كثير من الرسميين العثمانيين ينظرون إلى منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » نظرة ملؤها الخوف والرهبة والشك لأن الطابع الغالب على هذه المنظمة كان يشبه إلى حد كبير المنظمات التي أسست في عهد السلطان عبد الحميد والتي نسب إليها أعمال التعسف وكبت الحريات في الامبراطورية العثمانية إضافة إلى الدعاية لما عرف بفكرة الجامعة الإسلامية . ولم يفصح عن هوية هذه المنظمة السرية للرأى العام العثماني إلا في شهر نوفمبر سنة ١٩١٨ م ، عقب إجراء عملية تحقيق واسعة النطاق عن المخالفات السياسية التي ارتكبها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي في الفترة التي تسلطوا فيها على مقاليد الأمور في ما بين سنة ١٩١٣ وسنة ١٩١٨ م .

وقد أقيمت للتحقيق في هذه المسائل عدة لجان كان من بينها ما عرف باللجنة الخامسة[1] التي إختصت بالتحقيق في سلوك حكومة الاتحاديين السياسي الذى جرّ الامبراطورية إلى الدخول في الحرب الكونية الأولى إلى جانب ألمانيا . وقد حضر أمام هذه اللجنة أحد عشر متهمًا كانوا جميعًا وزراء في حكومة الاتحاديين . ولوحظ من التحقيق أن أبرز أعضاء منظمة الاتحاد والترقي والمؤسسين لمنظمة « تشكيلاتي مخصوصة » هم أنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا وهم الذين لم يكونوا من بين المتهمين الماثلين أمام لجنة التحقيق المذكورة إذ تمكنوا من الفرار من اسطنبول . ولذا انصب التحقيق مع أعضاء أقل شأنًا . ومن أهم الأسئلة التي وجهت إليهم من رئيس اللجنه الخامسة للتحقيق كانت تتعلق بمنظمة « تشكيلاتي مخصوصة » نفسها وعن تورط حكومة الاتحاديين مع عصابات من الإرهابيين وقطاع الطرق لارتكاب عدة جرائم ومخالفات دستورية ضد مصالح الامبراطورية .

وكان من بين هذه العصابات حسب تصور المحكمة منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » تلك وتعد هذه أول إشارة رسمية لدور هذه المنظمة السرية في المزالق التي انجرت إليها الامبراطورية العثمانية.[2] وفي هذا المقام يحسن بنا الإشارة إلى بعض ما اعترف به أعضاء هذه المنظمة أمام لجنة التحقيق الخامسة . فشفعت بي وزير المالية في حكومة الاتحاديين وأحد المتهمين ، عندما سئل عن منظمة « تشكيلاتي مخصوصه » أجاب بقوله « إنها كانت جماعة عسكرية سرية وليست منظمة رسمية اتخذ بشأنها قرار رسمى من قبل الحكومة وقتئذ » وكان حسب اعتقاده أنها جماعة أقيمت لأغراض التجسس على البلدان المعادية . أما وزير الخارجية خليل بي فقد قال إن كل ما عرفه عنها عند قيامها هو أنها أنشئت في إقليم القوقاز عند بداية الحرب كجماعة لحرب العصابات لمعاضدة الجيش النظامى كما قال أيضا أنه لا يعرف شيئا عما قيل عن دور رئيس هذه الجماعة في عملية إطلاق سراح السجناء شريطة أن ينضموا إلى هذه الجماعة . أما الصدر الأعظم أو رئيس الوزراء سعيد حليم باشا الذى ترأس الوزارة من ١٩١٣ إلى سنة ١٩١٧ م أجاب قائلا بأن « تشكيلاتي مخصوصة » كانت جزءًا من الجيش ولم تكن لمكتبه أى علاقة بها وأنه لا يعرف إلا النذر القليل حول نشأتها ونشاطاتها . وعلى الرغم من أن أعضاءً من الحكومة وجهوا انتقاداتهم لهذه المنظمة إلا أنه لم يكن في إمكان الحكومة أن تناقش هذه القضية . وتنصل قائلاً إنه لم يوافق على

---

(١) Philip H. Stoddard, "The Ottoman Government and the Arabs 1911 to 1913": A Preliminary Study of the Teskilati Makhsusa ph.D Dessertation 1963 History Dept. Princeton University p. 197.

يذكر ستودارد أن محاكمات الوزراء الاتحاديين استمرت في الفترة الواقعة بين الخامس من نوفمبر ١٩١٨ والواحد والعشرين من ديسمبر ١٩١٨ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ٤٧

وجودها وطلب إلى أنور باشا مرارًا أن يقوم بحل هذه المنظمة.[٣] أما إسماعيل بك وزير الداخلية والذى كان من المفروض أن يعرف كل شيء عنها اكتفى بالقول بأن منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » مختصة فقط بالأمن الخارجي للامبراطورية ولا علاقة لها بالشئون الداخلية . ولهذا يتضح أن المحققين والمتهمين على السواء كانوا لا يعرفون الكثير عن الأدوار التي قامت بها منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » وأن الخبر اليقين كان عند الثلاثة الآنف ذكرهم وهم أنور باشا وطلعت باشا وجمال باشا . إن أشرف كوشجوباشي أحد أعضاء هذه المنظمة البارزين الذى لعب دورًا كبيرًا في حركة المنظمة في إقليم طرابلس الغرب بعيد الغزو الإيطالى مباشرة صرح في عدة مقابلات أجريت معه في الخمسينات بأن العديد من الوزراء المذكورين لم يخطروا بنشاطات منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » نظرًا لعدم الثقة بهم . ومن جملة ما توصل إليه التحقيق في شأن هذه المنظمة ما يلي :

(١) أنها كانت منظمة سرية لم يعرف مدى حجمها وأنها ذات طبيعة فدائية وجاسوسية ودعائية .

(٢) لم تكن لها أى صلة بالوزارات المختلفة ماعدا وزارة الحربية .

(٣) أنها كانت تنعم بميزانية سخية وصلت إلى المنظمة من خارج ميزانية وزارة الحربية وبطرق مشبوهة .[٤]

ويستنبط من كل ما تقدم وما سيأتي من شواهد فيما بعد أن المؤسس لهذه المنظمة هو أنور باشا قبل توليه منصبي وزير الدفاع ونائب القائد العام للقوات العثمانية . وأنها اختصت بمعالجة بعض المشاكل التي استعصت على الحكومة بالطرق الدبلوماسية والتزمت العنف أسلوبًا لمعالجة هذه المشاكل . ومن الواضح ايضًا أن أنور اختار من بين المنتمين إليها أعضاء غاية في الإخلاص والطاعة والولاء له شخصيا .

أما عن تاريخ إنشاء هذه المنظمة فقد اتضح من التحقيق الذى أجرته اللجنة الخامسة أن منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » لم تتخذ هذا الاسم رسميًا إلا في الخامس من أغسطس سنة ١٩١٤ م عندما استصدر أنور باشا مرسوما سريا بإنشاء هذه المنظمة . ويشير جمال باشا في مذكراته بأن « تشكيلاتي مخصوصة » كانت وليدة منظمة من الضباط أنشأها أنوروسليمان العسكرى والتي أخذت على عاتقها تنفيذ قرارات جمعية الاتحاد والترقي ، ويشير جمال باشا أنه انضم إلى هذه المنظمة مبكرًا أعضاء آخرون أمثال أشرف كوشجوباشي وسليم سامى

---

(٣) إن هذه أول إشارة رسمية توضح لنا أن أنور باشا كان هو المؤسس والعقل المدبر لأنشطة منظمة تشكيلاتي مخصوصة

(٤) نفس المصدر السابق ، ص ٤٩ .

وسركيس رشيد وخسرو وسامى . وطبقا لمقابلة أجريت مع أشرف كوشجوباشي في الثامن والعشرين من شهر مارس سنة ١٩٥٧ م(٥) فإن فرع المنظمة الذى كان يرأسه سليمان العسكرى عرف بصفة غير رسمية باسم « تشكيلاتي مخصوصة » في الفترة الواقعة ما بين ١٩١١ و١٩١٣ . وأضاف أشرف كوشجوباشي في تلك المقابلة قائلا بأن أعضاء هذا الفرع من المنظمة كانوا يقومون بأعمال مماثلة لما يقوم بها أعضاء الفرق الأخرى والتي يشرف عليها جميعًا انور باشا أى عندما كان اشرف كوشجوباشي وبعض رفاقه من المنفيين والمطاردين من قبل السلطات العثمانية يسعون إلى تجميع صفوفهم في شكل منظمة مناهضة للسلطان عبد الحميد في الجزيرة العربية . وعندما سيطر الاتحاديون على السلطة في الامبراطورية سنة ١٩٠٨ م أسند أنور باشا مناصب هامة إلى كثير من الأعضاء الذين لعبوا دورا فعالاً في مساندة الاتحاديين لانجاح انقلابهم سنة ١٩١٣ م . كما أسندت مناصب ذات طبيعة نضالية إلى بعض الأعضاء المغامرين وخاصة في ولايات الدولة العثمانية الواقعة في أوربا كإجراء مبكر لتعويق حركات الانتفاض في البلقان . فأنور باشا نفسه عين ملحقًا للشؤون العسكرية بالسفارة العثمانية في برلين من سنة ١٩٠٩ م وحتي سنة ١٩١١ م ولعب أثناء بقائه في هذا المنصب أدوارًا اتسمت بروح المغامرة وأسند كرئيس لمنظمة « تشكيلاتي مخصوصة » مهامَّ ذات طبيعة فدائية إلى سليمان العسكرى وعصمت الله معتز وأشرف كوشجوباشي وغيرهم وقد لعبوا أدوارًا بارزة في مغامرات المنظمة التي ازدادت اتساعًا أثناء حروب طرابلس والبلقان .

إن الأسس الفكرية والعقائدية التي قامت عليها منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » غير واضحة على الإطلاق فهى في بدايتها مزيج من الأفكار المتذبذبة حينئذ حول مسألة الدعوة إلى إنشاء رابطة لكافة الشعوب الإسلامية لتنضوى تحت علم الامبراطورية العثمانية . أما في المرحلة الأخيرة من تطور المنظمة فإنها سلكت اتجاها قوميًا يدعو إلى الالتفاف حول الجنس الطوراني وأظهرت في هذا الشأن محاولات جدية لتتريك شعوب الامبراطورية الأمر الذى دعا إلى تفسخ الركائز الإسلامية للامبراطورية العثمانية ومن ثم إلى انبعاث وترسيخ الروح القومية لدى شعوب الامبراطورية وخاصة في البلدان العربية وشعوب البلقان.(٦) أما عن أبرز أهداف المنظمة فهى زعزعة التسلط الاستعمارى الروسي والفرنسي والبريطاني

---

(٥) نفس المصدر السابق ص ٥٢ ، ١٩٩ .

(٦) يتضح من البرقية التي بعث بها العقيد على رضا من بخارى والتي أعلن فيها استشهاد أنور باشا ، أن النزعة القومية الطورانية قد استفحلت بمنظمة تشكيلاتي مخصوصة فالختم الموجود في أسفل تلك البرقية يحمل العبارة التالية :
« جيش الثورة الطورانية وقائد جيش تركستان وأمير الجيش الإسلامي في بخارى نائب أنور باشا العقيد على رضا » .

والابطال وخاصة في المناطق الإسلامية الخاضعة للحكم البريطاني كالهند وافغانستان وإيران ومصر والعراق والسودان . ولتحقيق هذه الغاية بعثت منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » بمجموعات هدائية إلى بلدان إسلامية مختلفة لبعث الوعي الإسلامي والدعوة إلى الجهاد ورفع عصا الثورة ضد المحتلين . وتأكدت هذه الممارسات على وجه الخصوص في أقاليم طرابلس الغرب وسوريا والعراق وافغانستان والهند تحت قيادة الضباط الفدائيين المنتمين لمنظمة « تشكيلاتي مخصوصة » وبالتعاضد مع بعض الشخصيات المرموقة في الأقطار الآنفة الذكر . ومن جملة الشخصيات الإسلامية المتشبثة بفكرة الدعوة إلى الجهاد والتي استغل الأتراك حماسها الاسلامي استغلالا سيئا في بعض الأحيان ما يلي : محمد عبد الكريم الخطابي (١٨٨٢ — ١٩٦٣) وأمير علي ابن المجاهد عبد القادر الجزائري . ورئيس الدعوة التيجانية ورئيس فرع منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » في مراكش ، والشريف بورقيبة والشيخ صالح التونسي وعبد العزيز جاويش والشيخ أحمد الشريف السنوسي في برقة وسليمان الباروني [٧] في طرابلس وعضو مجلس البرلمان العثماني ومحمد فرحات بي [٨] من الزاوية وعضو مجلس البرلمان العثماني ويوسف بن شتوان من بنغازي [٩] والذى عين فيما بعد رئيس محكمة الاستئناف العسكريه في العاصمة التركية ومن على شاكلتهم .

ازداد دور منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » اتساعا وخطورة قرب اندلاع الحرب الكونية الأولى وركزت هذه المنظمة تركيزا أساسيا على الدعوة إلى الثورة الإسلامية والجهاد باسم الخليفة واكتسبت شخصية اعتبارية منفصلة عن الاستخبارات التركية العامة وعن شرطة الأمن السرى التابعة لوزارة الداخلية . وبدأت منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » قبيل نشوب الحرب بتوزيع فرق من ضباطها على مختلف البلدان الإسلامية مسبوقة بتوزيع كميات كبيرة من الأسلحة والأموال اللازمة تمهيدا للقيام بثورة عارمة ضد البلدان الأوربية المتسلطة على البلدان الإسلامية. واهتمت بالدرجة الأولى بتضييق الخناق على الانجليز في مصر فدفعت منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » الامبراطورية إلى حرب غير مدروسة ضد الانجليز في مصر . وقد عوّل الأتراك على غزو مصر من الشرق في حين أن أعضاء من الضباط الفدائيين التابعين لمنظمة « تشكيلاتي مخصوصة » أمثال نورى أخو أنور باشا وجعفر العسكرى ورطّوا السيد أحمد الشريف في حرب خاسرة مع الانجليز في الوقت الذى كان مشغولا في مقارعة الايطاليين في برقة .

---

(٧) نفس المصدر السابق ، ص ٥٨ ، ٥٩ ، ١٧٦ .

(٨) نفس المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

(٩) نفس المصدر السابق ، ص ١٧٦ .

أما عن ميزانية هذه المنظمة فقد قدرت بحوالى أربعمائة مليون ليرة ذهبية . فجزء من هذا المبلغ كان يأتي من مخصصات الميزانية السرية لوزارة الخارجية التركية بينما البقية كانت تشحن من ألمانيا على شكل عملات ذهبية . ومن هنا يستنبط أن العلاقة كانت وثيقة بين الاستخبارات الألمانية ومنظمة « تشكيلاتي مخصوصة » وبالعودة إلى التقرير المالى الذى أورده أنور باشا في مذكراته في الصفحات الأخيرة يمكن للمرء أن يخلص إلى الآتي [١٠] :

(١) أن مخصصات مالية سرية كانت مودوعة لحساب أنور باشا في أحد المصارف المصرية .

(٢) أن هناك جهات أخرى غامضة لم يشر إليها مباشرة كانت تمده بالمال اللازم .

(٣) ارتباط الاستخبارات الألمانية بحركة نضال أنور باشا في برقة وطرابلس الغرب بمده بالخبراء والمدربين العسكريين ، ذلك التعاون الذى استمر حتى نهاية سنة ١٩١٨ م متمثلا فيما قدمته ألمانيا لحركة السيد أحمد الشريف والتأييد المعنوى والمادى الذى بذلته في مساندة الجمهورية الطرابلسية .[١١]

أما عن الأدوار التي لعبتها منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » فقد مرت بثلاث مراحل امتدادًا من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩١٨ م .

المرحلة الأولى : ١٩١١ — ١٩١٢

إن دور « تشكيلاتي مخصوصة » قبل الغزو الايطالى لإقليم برقة وطرابلس الغرب يتمثل في تعويق التسلل الاستعمارى الايطالى المتمثل في مشاريعها الاقتصادية التي كانت تنفذ من خلال مصرف روما في طرابلس الغرب . فقد قامت فروع جمعيات الاتحاد والترقي في طرابلس الغرب بنشاط ملحوظ قبيل الغزو الايطالى قصد منه توعية العرب إلى المخاطر والأطماع الاستعمارية الايطالية التي تحدق بهم . فعولوا على عقد الاجتماعات في المساجد ودعوة الناس لها لتنويرهم بالمخاطر الكامنة في الدعاية الايطالية. كما قام أعضاء جمعية الاتحاد والترقي في طرابلس بالتعاون مع الضباط المنتمين لمنظمة «تشكيلاتي مخصوصة»

(١٠) كنموذج لأنشطة المخابرات الألمانية وتعاونها مع الأتراك في حربهم ضد الطليان في ليبيا اقرأ « مذكرات قائد الغواصة الألمانية » و . ج : ٢٠ ، التي جاءت إلى خليج سرت تحمل عشرين طنا من الأسلحة واللوازم الحربية . انظر جريدة الشعب العدد ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٩٧٢ .

(١١) نفس المصدر السابق .

باجراء إحصاء عام للرجال القادرين على حمل السلاح وأرسلت تقارير إلى اسطنبول بهذا الشأن لحث السلطات على إرسال السلاح اللازم .(١٢)

ومن جملة الضباط المنتمين إلى منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » في طرابلس الغرب وبرقة قبل الغزو الأيطالى ، شلبي أدهم الذى شغل منصب القائد العام للقوات التركية في طرابلس الغرب وبرقة وخليل بي مظفر والمقدم محي الدين بي ضابط بحرية والملازم حسن فهمي والملازم طاهر .(١٣) وقد أفقدت هذه الاجراءات صواب القنصل الايطالى كارلو غالى الذى كتب تقارير ملتهبة إلى حكومته وأشار إلى ذلك جيوفاني جيوليتي في مذكراته .
وعلى الرغم من أن تنظيم « تشكيلاتي مخصوصة » لم يكتشف من طرف الاستخبارات الأجنبية وخاصة الايطالية إلا أن جيوليتي وصف أعضاءها في طرابلس وبرقة « بالمشاغبين » واعتقد أنهم أعضاء عاديون من جمعية الاتحاد والترقي المعروفة. وقد اشار إليهم في مذكراته بأنهم كانوا على اتصال مستمر بالحكومة التركية واللجنة المركزية في اسطنبول التي كانت تصلها منهم تقارير الاجتماعات التي تعقد في طرابلس مؤكدين للحكومة عزم السكان العرب الأكيد على البقاء في إطار حكم الامبراطورية العثمانية .(١٤) ولكن البيروقراطيين العثمانيين لم يصدقوا ما وصل إليهم من تقارير بخصوص ولاء العرب للامبراطورية وقد انعكس هذا الشعور بعدم الثقة في العرب على بعض المسئولين العثمانيين الكبار . وقد يكفي في هذا الخصوص أن نذكر ما قاله وزير الحربية التركية لأنور باشا قبيل مغادرته اسطنبول متوجها إلى برقة محاولا تثبيط عزيمته بأن العرب سوف يقتلونه ويسلبونه ما معه من المال . فردّ عليه ذلك الضابط العثماني الغيور الذى عز عليه أن يرى صروح الامبراطورية تتهاوى وهو قادر على الدفاع عنها ، قائلا : إذا قتلني العرب وسلبوا ما معى فإنك إذن ستجد ذريعة تتعلل بها أمام الشعوب الاسلامية التي تتطلع دوما إلى حمايتنا لها فتقول بأنك بعثت بضابط ممتاز ولكن اغتاله العرب .(١٥)

---

(١٢) توجد بمركز بحوث ودراسات الجهاد الليبي بطرابلس قسم الوثائق قوائم بأسماء المجندين وإحصائيات بأسماء القادرين على حمل السلاح مع العلم أن هذه الوثائق غير مصنفة حاليا .

(١٣) فيليب ستودارد ، ص ١٧٦ .

(١٤) G. Giolitti. "**Memories of my life**", translated from Italian by E. Storer, London, Chapman and Dodd 1923, p. 274.

انظر أيضا جيوفاني جيوليتي ، **مذكرات جيوليتي الأسرار العسكرية والسياسية لحرب ليبيا ١٩١١ — ١٩١٢** . تعريب خليفة محمد التليسي ، طرابلس منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ص ٧٣ .

(١٥) انظر مادونه أنور باشا في مذكراته يوم ٢٨ سبتمبر ١٩١٢ .

تسلمت الحكومة العثمانية الانذار الايطالى بالحرب يوم ٢٦ سبتمبر سنة ١٩١١ م والقاضي بالرد العاجل في خلال أربع وعشرين ساعة إلا أنها أخذت تراوغ وتساوم ولم ترد على الانذار الايطالى إلا يوم ٢٩ سبتمبر وهو نفس اليوم الذى تم فيه إعلان إيطاليا الحرب رسميا على الدولة العثمانية . أما الحكومة العثمانية فلم تحرك ساكنا على المستوى الرسمى وأخذت تتلكأ عاقدة الآمال على ردود الفعل العالمية للاجراء الايطالى حالمة بأن الدول الكبرى لن تسمح مصالحها الاستعمارية بالتوسع الايطالى في إقليم طرابلس الغرب وبرقة .

وتصادف الغزو الايطالى مع انعقاد المؤتمر السنوى لجمعية الاتحاد والترقي في سالونيك والذى شجبت فيه موقف الحكومة العثمانية المتردد . أما الرد العملى فإنه تمثل في المبادرات الشخصية التي انحصرت في الموقف الشجاع الذى اتخذه أنور وجماعته التابعون لمنظمة « تشكيلاتي مخصوصة » فأول تصريح أدلى به قوله : « لا يمكننا كجند عثمانيين أن نسلم في كرامتنا لعدو نؤمن بأنه يمكننا قهره . »[١٦] وقد ضغط الاتحاديون على وزير الدفاع محمود شوكت بأن يقوم بأكثر من الاحتجاج وقد اقتنع أخيرًا بما تقدم به أنور وجماعته واشترط عليهم أن يكون عملهم سريًا وبصفة غير رسمية وأن يتم وصولهم إلى إقليم برقة وطرابلس الغرب تسللا عن طريق الحدود المصرية والتونسية . وطالما أن الأمر كذلك فإن أى متسلل يقبض عليه من قبل السلطات الفرنسية أو الانجليزية أثناء التسلل فلن تكون له أى صفة رسمية ويعد مغامرًا يتحمل مسئولية عمله .

اتفق على أن تتشكل جماعة من الضباط الفدائيين برئاسة انور وأن تنقسم هذه الجماعة من الضباط إلى مجموعتين. فالمجموعة الأولى دخلت إلى برقة عن طريق مصر تسللا برئاسة أنور باشا ومعه من الضباط المتحمسين مصطفى كمال (أتاتورك فيما بعد) وقد أوكل أمر توصيل هذه الجماعة إلى الضابط أشرف بي كوشجوباشي نظرًا لتمكنه من معرفة اللغة العربية . وقد كان يحمل كل منهم بطاقات شخصية مزيفة لتضليل السلطات البريطانية .

ومن الواضح أن هؤلاء الضباط تقاطروا إلى مقار مهامهم في أوقات مختلفة وبوسائل متعددة . وكان أول من وصل إلى برقة أنور ومصطفى كمال ثم لحق بهم أشرف بي والشيخ صالح الشريف التونسي وأمير على باشا ومعتز بي . أما مصطفى كمال فقد أصيب بمرض فور وصوله إلى الاسكندرية وترك هناك لفترة قصيرة برفقة أشرف بي وفؤاد بولكا .

أما المجموعة الثانية فقد تسللت عن طريق الحدود التونسية تحت قيادة على فتحى أوكيار الذى كان يشغل منصب الملحق العسكرى بالسفارة العثمانية في باريس . أقلعوا

---

(١٦) انظر مادونه فيليب استودارد في مقابلة شفوية أجراها مع الضابط التركى أشرف بي في ١٣ صفر ١٩٠٢ . ص ٨٠ ، ٢٠٦ .

جميعا من اسطنبول إلى تونس حيث كان في استقبالهم جماعة من التونسيين المتحمسين للقضية الطرابلسية فأوصلوهم إلى منطقة الحدود . وكان هؤلاء الضباط لا يحملون شيئا سوى مائة ليرة ذهبية ومع كل واحد منهم بعض الأسلحة الصغيرة للدفاع عن النفس . وطبقا لمقابلة أجريت مع أشرف بي يتضح أن الضباط الذين كانوا معه واجهوا بعض الصعوبات في الدخول إلى مصر نظرًا للاجراءات التي اتخذها الانجليز إزاء الأتراك المتسللين إلى برقة . كما أكد أشرف بي الدور الفعال الذى لعبه صالح حرب في تهريب العسكريين الأتراك إلى طبرق ودرنة ، إذ تمكن حوالى مائة وسبعة ضباط وعدد يتراوح ما بين ثلاثمائة وأربعمائة جندى وصف ضابط ، من الدخول إلى برقة بمساعدته . وقد تأسس تحت قيادة هؤلاء العسكريين ما يقارب عن ستة عشر ألفًا من أهل برقة .

أما قبل ذلك فكان يوجد في برقة وطرابلس الغرب عند وقوع الغزو الايطالى قوات عثمانية يتراوح عددها ما بين ثلاثة وأربعة آلاف رجل . وقد انسحبت هذه القوات التركية المعسكرة في مدينة طرابلس إلى خارج المدينة قبل أن يبدأ الايطاليون في دكها بمدافعهم ، وعسكرت بقية الفرق التركية على مقربة من المدن الساحلية وظلت تناوش الغزاة الايطاليين بشكل متقطع . وعندما وصل أنور إلى درنة قام على الفور بإرسال ضباط من رفاقه إلى كل معسكر عثماني في موقعه . وهى من الشرق إلى الغرب ، طبرق ودرنة وبنغازى ومصراتة والخمس وطرابلس . ونصب العقيد نشأت قائدًا عامًا للقوات العثمانية في قطاع طرابلس يعاونه المقدم على فتحى بي اوكيار والملازم طاهر وكان مركز قيادتهم يقع في العزيزية إضافة إلى معسكرين في الجنوب من المتطوعين العرب تحت قيادة المقدم محيي الدين بي وبعض المستشارين الألمان .(١٧) أما في الخمس فكان برأس القوات العثمانية فيها خليل بي مظفر يعاونه الملازم حسن فهمى ومركز قيادتها في جبل المرقب .

أما في مصراتة فكانت القيادة للنقيب حقّي بمعاونة الملازم نورى . وفي بنغازى تسلم قيادة القوات العثمانية عزيز على المصرى ومعاونه سليمان العسكرى . وفي طبرق تولى القيادة العامة شلبي أدهم باشا بمساعدة المقدم ناظم إسلام وكان مقر القيادة في عين الغزالة ، أما درنة فتسلم فيها أنور باشا الأمور بنفسه كقائد عام لقيادة المقاومة يعاونه شقيقه نورى بي وبعض المستشارين الألمان وعدد من الضباط الأتراك أمثال مصطفى كمال قائدا لمعسكر عين بومنصور يعاونه في هيئة الأركان النقيب شركيس رشيد رئيسًا للأركان واشرف كوشجوباشي قائدًا لقوات العصابات العربية وقيادتهم جنوبي درنة ومعسكراتهم في « الظهر الحمر » وعين بومنصور والطنجى وسيدى عزيز . وفي مقر المعسكر في عين بومنصور أنشأ أنور باشا مصنعًا

(١٧) نفس للمصدر السابق ، ص ٨٥ .

للذخيرة ومركزًا للتدريب وجريدة بعنوان « الجهاد » ومدرسة لأبناء المشائخ بمعسكر عين بومنصور وتوسع في إنشاء المدارس حتى أصبحت عشر مدارس شملت ألف تلميذ ومائة وخمسين تلميذة إضافة إلى مدرسة تجارية وأخرى زراعية وقد بعث بمائتي طالب إلى مختلف المدارس والمعاهد التركية .(١٨)

وفي ربيع سنة ١٩١٢ انخرط في معسكر عين بومنصور فقط ألفا متطوع من القبائل العربية كان يدفع لكل متطوع قطعتي ذهب كما أسس فرقة من الحرس الخاص بقيادة ممتاز بي ، وقد كان الجنود والمتطوعون مسلحين ببنادق اغتنمت من الايطاليين وبنادق « الموزر » التي هربت بطريقة أو أخرى من اسطنبول إلى برقة ، في الوقت الذى كان فيه الايطاليون مسلحين تسليحًا ثقيلاً بل يمتلكون الطائرات الحربية ومناطيد للاستكشاف . ومما يحسن الإشارة إليه هنا الحماس المتقد لدى المجاهدين العرب الذين لم يكتفوا بما غنموه من الطليان من الأسلحة الخفيفة والثقيلة بل إنهم قاموا بحملة تبرع جمعوا فيها ألف جنيه تركى قدموها إلى أنور باشا مرفقة بطلب لشراء طائرة حربية لمقاتلة الايطاليين بنفس النوع من السلاح .(١٩) ولكى يؤمن أنور باشا مصدرًا دائمًا للسلاح ويحمل الأهالى على معاداة الايطاليين وسلبهم كل شىء فقد كان يدفع لكل من يغتنم بندقية أو يحضر أسيرًا على قيد الحياة مبلغًا معينًا من المال . فقد كان يشترى البندقية المسلوبة من الايطاليين بمبلغ ستين قرشا من الفضة والمدفع الرشاش بليرة واحدة ولكل من يحضر أسيرًا على قيد الحياة يكافأ بمبلغ قدره خمس ليرات (٢٠) في يوم ١٤ يناير سنة ١٩١٢ م تمكن العرب عقب معركة مع الايطاليين من اغتنام ألف وخمسمائة بندقية وخمسة مدافع رشاشة . إن الأسس التي قامت عليها قوات البادية التي شكلها أنور باشا كانت كالآتي : كان لكل مجموعة تتكون من خمسة عشر مقاتلا من قبيلة واحدة ، خيمة واحدة ينامون فيها ويرأسهم عريف أو نائب

---

(١٨) E. E. Evans-Pritchard, "**The Sanusi of Cyrenica**',, London, Oxford at the Clarendon press 1968, p. 111.

يذكر ايفانز برتشارد أن ٣٦٥ تلميذا بعثوا لمواصلة دراستهم في اسطنبول لكى يعودوا إلى برقة لتولى مناصب مدنية وعسكرية ، إلا أنه عاد منهم ثلاثون طالبا انضموا إلى السيد أحمد الشريف أثناء إقامته في السلوم في أوائل سنة ١٩١٤ . وفي منتصف نفس السنة عاد سبعة طلاب إلى برقة أيضا ولكن أسرتهم سفينة حربية فرنسية في أثناء عودتهم . انظر ص ١١١ ، ١١٢ من نفس المصدر السابق ، وانظر أيضا فيليب ستودارد ص ٢٠٨ ، وانظر ايضا

Georges Remond, "**Aux Camps Turco-Arabes**": Notes de Route et de Guerre en Cyrenaigne et en Tripolitaine. Paris 1913, p. 167.

وانظر أيضا مادونه أنور باشا في مذكراته في ٢٧ / ٩ / ١٩١٢ .

(١٩) انظر مادونه أنور في مذكراته يوم ٦ يونيه ١٩١٢ .

(٢٠) انظر فيليب ستودارد ، ص ٨٧ .

عريف بعينه شيخ القبيلة . وكان يخصص لكل حجة امرأة تقوم بخدمة الجنود وغسل ملابسهم وإعداد الطعام لهم أثناء راحتهم وحمل الماء والطعام اللازم للمقاتلين في ميدان المعركة إلى جانب إثارة همم الرجال أثناء المعركة وتضميد جراح المصابين ورثاء الشهداء منهم وذكر محاسنهم . وقد كان في معسكرى عين أبي منصور والظهر الحمر عدداً من المجاهدات يتراوح ما بين ٤٥٠ إلى ٥٠٠ مجاهدة . وذكر أنور باشا في مناسبات متعددة الأدوار التي كن يقمن بها مشيداً بمحاسنهن ،وازداد إعجابه بالمرأة العربية واستقامتها وصلابتها وبسالتها فطلب من الحكومة استصدار مرسوم خاص للسماح للضباط بالزواج من العربيات . وكان يحق لكل متطوع يومياً كمية مقررة من الطعام وأن يدفع له يومياً قرشان من الفضه وكان برأس كل خمسين مقاتل من قبيلة واحدة شيخ ، وتتألف كل سرية من مائة وخمسين رجلا يقودهم ضابط تركي ومساعدون برتبة صف ضابط وفي بعض الأحيان إذا توفر لقبيلة أن تشكل كتيبة كاملة برأسها حينئذ شيخها بمساعدة مستشارين عسكريين أتراك .(٢١)

أما أرباب الأسر الذين استشهدوا في الميدان فإنه كان يدفع لذويهم مخصصات مالية أسبوعية إضافة إلى تزويدهم بالطعام الكافي لإعالتهم مجاناً . لقد استفادت القبائل العربية القريبة من درنة وطبرق مادياً من حركة الجهاد إذ صدرت أوامر ومراسيم خاصة من أنور باشا بالتشديد على الحفاظ على الأمن بين الأهالي وسلامة ممتلكاتهم وحيواناتهم . وبالمقابل التزمت القبائل بتزويد المعسكر باللحوم والحبوب والإبل والأعلاف وبأسعار مشجعة .(٢٢)

لقد شكلت هذه القوات العربية تحت قيادة ضباط من « تشكيلاتي مخصوصة » مقاومة عنيدة وشرسة ألزمت الغزاة الايطاليين البقاء في حصونهم التي استولوا عليها في المدن الساحلية . وفوق ذلك تمكنت هذه القوات العربية من شن هجمات كللت بالنصر المبين . ففي الثامن من شهر يوليه سنة ١٩١٢ م تمكنت القوات العربية التي كانت تحت قيادة أشرف كوشجوباشي من حصار مدينة درنة .(٢٣) وفي الفترة الواقعة بين الرابع عشر إلى السابع عشر من شهر سبتمبر سنة ١٩١٢ م جرت عدة معارك بين الايطاليين والمجاهدين توجت

---

(٢١) انظر أيضا مادونه فيليب ستودارد في مصدره السابق في المقابلة التي أجراها يوم ١١ فبراير سنة ١٩٦٢ مع الضابط التركي أشرف كوشجو باشا الذى كان قائدا للميليشيا العربية في قطاع درنة . وقد أكد لي هذا الأمر الحاج صالح بن عبد المالك في مقابلة أجريتها معه في درنة بتاريخ ٥ أغسطس ١٩٧٨ .

(٢٢) انظر ايفانز برتشارد ص ١١١ و١١٢ .

(٢٣) انظر مادونه أنور باشا في مذكراته يوم ٢٠ يولية سنة ١٩١٢

بهجوم شامل على المواقع الايطالية عرف بموقعة رأس اللبن أو القرقف استمرت ست عشرة ساعة متواصلة أبلى فيها المجاهدون بلاء حسنا .[24] ورغم ما سمعته من إطراء ووصف جيد للبطولات الفذه التي قام بها المجاهدون الذين شاركوا في هذه المعركة إلا أننا لم نتمكن من الحصول على أرقام دقيقة عن الخسائر بالنسبة إلى الطرفين . وظلت المصادر الايطالية محتكرة لهذه الأرقام والحقائق وستظل كذلك ما لم تبذل جهود جادة لدراسة المصادر التركية المتوفرة . إن التقرير الذى كتبه أنور باشا في اليوم التالى لوقوع المعركة وما بعدها يكشف لنا مدى زيف المصادر الايطالية فيما تحمله لنا من أرقام وهى حقيقة أكدتها بعض المصادر الغربية الأمينة التي نبهت إلى التحفظ إزاء الأرقام الواردة في المصادر الايطالية .[25]

فعلى سبيل المثال تشير المصادر الإيطالية أنه قتل عشرة من ضباطهم ومائة وسبعون من جنودهم في حين أنه استشهد من المجاهدين ١,١٣٥ وهو أمر يدعو بطبيعة الحال إلى الالتزام بالصمت حتى يسمع رأى الطرف الآخر أو ما تقوله مصادره .[26] فأنور باشا يعطينا أرقامًا تفضح دجل المصادر الايطالية ، إذ سجل لنا في مذكراته أنه فقد في تلك المعركة ثمانية وتسعون شهيدًا ومائة وخمسة وثمانون جريحًا في حين أن جواسيسه أخبروه بأن الايطاليين خسروا ثمانمائة قتيل وجريح .[27]

ومما زاد أنور باشا زهوًا وفخارا ذلك الموقف الشجاع الذى أبدته القبائل التي فقدت رجالاً لها في تلك المعركة فسجل لنا موقف قبيلة الحاسة البطل عندما أراد الايطاليون شراء ولائهم وعزلهم عن صفوف المقاومة بإطلاق سراح جرحاهم العشرين الذين وقعوا في أيدى الايطاليين فكان رد تلك القبيلة على الوسيط الايطالى « إنكم جئتم لتدمروا أرضنا وتدنسوها

---

(٢٤) يقصد بهذه المعركة التي استمرت ست عشرة ساعة متواصلة : موقعة « رأس اللبن أو القرقف » التي جرت في منطقة جبلية مرتفعة تطل على مدينة درنة من ناحية الجنوب الشرقي . وبدأت هذه المعركة في فجر يوم ١٧ من سبتمبر ١٩١٢ واشتركت فيها معظم قبائل الحرابي . وقد نجم عن ثبور المجاهدين هزيمة غير متوقعة وقد حاول الايطاليون ملاحقتهم في اليوم التالى وجرت معركة تمسكت الشهيرة على مقربة من وادى الناقة التي هزم الطليان فيها هزيمة منكرة وقد سجل الشعراء الشعبيون قصائد رائعة في هاتين المعركتين أشهرها حينئذ قصيدة الشاعر حسن يوسف وحكاره ومطلعها « رأس اللبن صار فيه الملاقا . وحمين أسواقه ، حميع من حضر فيه فاقد رفاقه » وقد أشار أنور باشا في مذكراته بهذه المناسبة إلى قصائد شعبية ألقيت رثاء لمن استشهد في هاتين المعركتين الشهيرتين انظر مادونه أنور باشا في ١٤ يناير ١٩١٢

(٢٥) إن أهم هذه المصادر ما كتبه لنا المراسل الصحفي المعروف :

Francis McCullagh, "Italy's war for a Desert." Chicago, F. G. Browne and Co. 1913.

قام المترجم بنقله إلى العربية وسيصدر قريبا

(٢٦) انظر مادونه لنا أنور باشا في مذكراته يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٢

(٢٧) محمد خليفة التليسي . معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١ — ١٩٣١ بيروت — دار الثقافة الطبعة الثالثة ١٩٧٣ ، ص ٤٣١ . وانظر أيضا إجفار ريتشارد ص ١٢ . ومادونه أنور باشا يوم ٢١ سبتمبر ١٩١٢

أما نحن فلانطيع إلا أوامر الله والسلطان ولذا فإننا حرمنا الرأى على قتالكم إن السجناء الذين بين أيديكم قد اعتبرناهم في عداد الموتى لأننا نكبناهم ونعباهم وذلك أمر انقضى وسواء أأطلقتم سراحهم أم أبقيتموهم في أسركم فإننا سنواصل قتالكم ولو لم يبق من قبيلتنا إلا رجل واحد قادر على حمل السلاح ومع هذا فإننا ننصحكم بأن تعاملوا أسرانا بإحسان ولا تنسوا أن لكم أسرى بين أيدينا . »(٢٨)

وفي الوقت الذى كان فيه أنور باشا ومن معه من فدائيي « تشكيلاتي مخصوصة » يحققون انتصارات باهرة ويعملون بنجاح على تأسيس جيش عربي متماسك في كل من برقة وطرابلس وصلت إليهم أنباء مخيفة مفادها أن وزير الحربية محمود شوكت باشا الذى كان يعد المؤيد الأول لحركة المقاومة في طرابلس وبرقة تحت قيادة « تشكيلاتي مخصوصة » قد أقيل من منصبه وتولى الوزارة بعده ناظم باشا الذى عرف بعدائه الشديد للاتحاديين وخاصة لشخص أنور باشا ولفكرة نضاله في برقة وطرابلس .(٢٩) ولم تلبث أن قلت المعونات التي كانت تصله عن طريق الوزير السابق كمحاولة من ناظم باشا لإنهاء حركة المقاومة التي تقودها جماعة « تشكيلاتي مخصوصة » وفي الوقت نفسه تواترت إلى أنور باشا أخبار مفادها أن حرب البلقان أصبحت قاب قوسين أو أدنى ، فازدادت همومه وخاصة بعد أن وقعت الحكومة التركية في ١٨ أكتوبر سنة ١٩١٢ م اتفاقية أوشي / لوزان التي انتهت بموجبها حالة الحرب بين تركيا وإيطاليا . وقد حاول السلطان العثماني أن يستدرك خطأه الفادح فأصدر مرسومًا ليضلل به المسلمين وسكان الإقليم المغصوب مانحًا إياه شكلا استقلاليا مزيفا وكيف لفاقد الشيء أن يعطيه ؟

لقد برح القنوط والألم بأنور باشا عندما حلت بالامبراطورية العثمانية هذه الملمات وهو شاهر السلاح في وجه أشرس أعدائها . لقد ألقى أنور باللائمة على وزارة الحربية وعبر عن ذلك بقوله « لقد أصبحت نسيًا منسيًا لدى وزارة الحربية » وأخذت تراوده فكرة العودة إلى بلاده للمساهمة في إنقاذها من الهوة السحيقة التي أخذت تتردى فيها بشكل لافت للنظر . إن فكرة العودة إلى الاستانه أخذت تزداد إلحاحًا عليه يوما بعد الآخر كما هو واضح من يومياته . فمن ناحية كان مترددًا نظرًا لما قطعه على نفسه من مواثيق وأيمان للعرب في برقة على حد قوله ومن ناحية أخرى كان يعزم على الرحيل متعللاً بحاجة بلاده الماسة إليه . ولربما اشتط به الخيال في تصوير أهميته لإنقاذ بلاده على النحو الذى أنقذ به نابليون فرنسا عندما كان في مصر سنة ١٧٩٩ م فهرع مسرعا إلى بلاده بعد أن خلق هيكلاً إداريًا في مصر من

---

(٢٨) انظر مادونه لنا أنور باشا في مذكراته يوم ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٢ .

(٢٩) قتل هذا الوزير في الانقلاب العسكرى الذى وقع سنة ١٩١٣

مساعديه العسكريين . فعاد إلى فرنسا وكان معه عضوًا عسكرية فاستقامت له الأمور واستتب الأمر في فرنسا ثانيةً امبراطورية . إن أنور باشا كان متشبعًا بأفكار الثورة الفرنسية وآداب الفرنسيين — حتى إنه حسب اعتقادنا — دوّن يومياته بالفرنسية وليس باللغة التركية .

وقد أكد مرارًا في مذكراته حبه للسلطة والشهرة وخاصة بعد أن أسر أفئدة العرب في برقة وحبهم له . فعندما تناهت إلى أنور باشا أخبار اتفاقية لوزان أخذ يتساءل كيف لي أن أترك مملكتي التي أنشأتها ؟ وكيف لي أن أترك ذلك الزعيم لبلدي ؟ لقد أصبح الشعب بأسره هنا من فلاحيه إلى شيوخه يأتمرون بأمري وعلى أهبة الاستعداد للفداء والتضحية . فبعد أن تسلّم أنور برقيةً من وزارة الحربية تأمره بالعودة اجتمع بلفيف من الضباط الفدائيين توصلوا إلى مشروع يتألف من خمس نقاط :

(١) أن يبقى فريق من ضباط « تشكيلاتي مخصوصة » في طرابلس وبنغازي ليواصلوا الكفاح ضد الايطاليين .

(٢) وفي حالة انقطاع المدد من اسطنبول فإن على هؤلاء الضباط تشكيل حكومة باسم « افريكا دولتلر فروبو » (اتحاد الدول الإفريقية) تحت رئاسة السيد أحمد الشريف السنوسي .

(٣) تقسم الأقاليم إلى مناطق دفاع معينة تحت قيادة ضباط لهم دراية تامة بأمور الدفاع . فمصطفى كمال الذى كان يعالج في فينا يعود إلى درنة ليحل محل أنور باشا وسليم سامي شقيق أشرف كوشجوباشي عليه أن يأتي إلى برقة ليتولى مهام أخيه المتعلقة بحرب العصابات .

(٤) ولكى تضع جماعة هؤلاء الضباط السلطان العثماني ووزراءه في موقف حرج فقد قرروا الاستقالة من الخدمة العسكرية من الجيش العثماني ومن ثم إعلان استقلال طرابلس وبرقة .

(٥) ولكى يثبت هؤلاء الضباط ما قطعوه على أنفسهم من وعود فإنهم سيشنون هجوما على كافة الجهات الايطالية لإحباط ما تم التوصل إليه من اتفاق طبقا لمعاهدة أوشي / لوزان .

غير أن هذه الاجراءات لم يكتب لها النجاح نظرا للتطورات المفاجئة في حرب البلقان وهزيمة الجيوش العثمانية وتقهقرها إلى كاتالاكا ، الأمر الذى حدا بأنور باشا إلى العودة مسرعًا إلى اسطنبول لإنقاذ الامبراطورية من هزيمة ماحقة .

المرحلة الثانية ١٩١٢ ـــ ١٩١٥ :

وإزاء هذا الموقف الجديد عهد أنور باشا بأمور المقاومة في برقة إلى عزيز على المصرى بمساعدة سركيس رشيد وهرع إلى الجغبوب في سيارته الوحيدة لمقابلة السيد أحمد الشريف السنوسي حيث تم معه التصديق على « تأسيس الحكومة السنوسية » وهو الأمر الذى توصل إليه وفد السيد أحمد الشريف الذى سبق وأن بعث به إلى أنور باشا فقابله في الأسبوع الثالث من شهر أكتوبر سنة ١٩١٢ م .(٣٠) وقد عبر «أنور باشا في مذكراته التي دونها لنا في السادس عشر من أكتوبر » في هذا الخصوص عن أمله في وصول وفد من طرف السيد أحمد الشريف قائلا : « وفي غضون الأيام القليلة القادمة أتوقع وصول وفد الشيخ السنوسي ولعل اللقاء معهم سيسفر عن قرار ناضج ومفيد »(٣١) وقد تمثل الاتفاق في إنشاء حكومة برأسها السيد أحمد الشريف بشقيها المدني والعسكرى . وقد انصبّ حديث أنور باشا فيما دونه لنا في الخامس والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٩١٢ م على الهياكل التي اشتملتها الحكومة الجديدة .

لقد تم تأسيس إدارة مدنيّة على نمط متواضع إذ قسم إقليم برقة إلى عدة مناطق إدارية حسب تواجد الزوايا التي عهد إلى مشائخها بإدارة دفة الأمور المدنية والعسكرية أيضا . وقد ظل الجيش البالغ عدده ستة عشر ألف مقاتل تحت قيادة تشكيل من ضباط « تشكيلاتي مخصوصة » برئاسة عزيز على المصرى . وقد ترك أنور باشا مبالغ مالية كبيرة في حوزة عزيز على الذى كان يصرف منها تسعة آلاف جنيه تركى شهريًا على الجيش إضافة إلى دخل قيمته أحد عشر ألفًا من الجنيهات التركية من عوائد الضرائب . كما ترك شحنات من الأسلحة والذخيرة التي وصلت إلى برقة قبيل مغادرة أنور باشا لها . كما أنشأ أنور اثنتي عشرة مدرسة بها ألف ومائة وخمسون تلميذًا وتلميذة كما أنشأ مدرسة مهنية في الفيفب بها شعب تجارية وزراعية وتلقى فيها التلاميذ تدريبات عسكرية يومية وكان المتخرجون من هذه المدرسة يعملون كمعلمين في المدارس المتنقلة بين نجوع البادية .(٣٢)

لقد أدرك الايطاليون ما آل إليه حال المقاومة العربية بعد عزم أنور باشا على الرحيل فأخذوا يعدون العدة لشن هجوم شامل على مواقع تجمعات المجاهدين . أما أنور باشا فبعد

---

(٣٠) عثرنا على العديد من الوثائق التي تحمل هذا الشعار أى شعار « الحكومة السنوسية » أثناء بحثنا الذى اشتركنا فيه في صيف ١٩٧٦ وهي متوفرة لدى المكتبة المركزية لجامعة قاريونس في بنغازى . انظر أيضا ايفانز بريتشارد ، ص ١١٦ .

(٣١) انظر مادونه أنور باشا في مذكراته في يوم ١٦ أكتوبر سنة ١٩١٢ .

(٣٢) انظر مادونه لنا أنور باشا في مذكراته يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٢ .

أن سلم أمور البلاد إلى السيد أحمد الشريف فإنه تمكن بطريقة غامضة من الافلات من قبضة السلطات البريطانية التي كانت تترقب وصوله إلى مصر . ومن هناك سافر متنكرًا على ظهر إحدى السفن الايطالية فوصل إلى جزيرة برنديزى ومنها أقلع إلى فيينا ومن ثم إلى اسطنبول .

أما السيد أحمد الشريف فإنه أخذ يعدّ العدة لتولى زمام أمور الجهاد بنفسه بعد أن خلت الساحة تمامًا من الهيمنة التركية . فرحل من الجغبوب مارًا بوادى « المرا » يرافقه حوالى مائة فارس يعرفون « بالمعية » أو الحرس الخاص وكان يرافق أحمد الشريف ما عرف حينئذ « بطابور الطلبة » ، وهم من الطلبة الذين أتموا دراستهم في الجغبوب وكان من بينهم صالح بومطير الذى نال فيما بعد شهرة فائقة في الجهاد ضد الطليان وعبد الدائم بوجبريل وعثمان بومؤمن وصالح بوعرقوب وعوض العبيدى وآخرون كثيرون تستحق الأدوار النضالية التي قاموا بها دراسة مفصلة (٣٣) وتوقف في العزيات حيث كان في استقباله لفيف من المجاهدين وتم توزيع السلاح وقام بتدريب المتطوعين بعض المتخصصين أمثال أبو بكر البوال من قبيلة « عبت » بوسعيده القطعان ومدرب آخر أسمر يدعى طارق . (٣٤) وتقدم السيد أحمد الشريف بعد ذلك من العزيات متوجها نحو معسكرى المجاهدين اللذين تركزا حول سيدى عزيز وسيدى القرباع على ضفتي وادى درنة. وحاول الايطاليون تصفية هذين المعسكرين قبل أن تقوى شوكتهما بوصول السيد أحمد الشريف فأرسلوا قوة للقضاء على معسكر سيدى القرباع الذى كان يقصده أحمد الشريف بقيادة الجنرال ما مبرتي . وكان قوام هذه القوة الايطالية خمسة آلاف رجل مزودة بمدافع ميدان ومدافع رشاشة فوصلوا إلى منطقة سيدى القرباع يوم السادس عشر من مايوسنة ١٩١٣ م أى في نفس اليوم الذى وصل فيه السيد أحمد إلى منطقة الظهر الحمر . وجرت في هذا اليوم معركة ذائعة الصيت في الجبل الأخضر عرفت في المصادر الايطالية بمعركة سيدى القرباع بينما عرفت بين المجاهدين بيوم الجمعة التي هزم فيها الايطاليون شر هزيمة . وذكرت المصادر الايطالية أن الخسائر بين الجنود الايطاليين بلغت أربعمائة جندى مفقود واثنين

---

(٣٣) اعتمدت في هذه المعلومات التاريخية على الرواية الشفهية التي أجريتها مع المجاهد المعروف صالح بوعرقوب البرعصي بالبيضاء في يوم ٤ أغسطس سنة ١٩٧٧ .

(٣٤) حدثنا المجاهد صالح بوعرقوب أن محمد طارق بن عبد القادر الافريقي كان مولى لوالى طرابلس السابق ، رجب باشا الذى عرف بعدائه الشديد للتمهيد الاستعمارى الايطالى في إقليم طرابلس الغرب :
لعب طارق الافريقي أدوارا مشهودًا له فيها بالبطولة والفداء من أجل الامبراطورية العثمانية فحارب الايطاليين من ١٩١١ إلى ١٩١٢ ، واشترك في الحرب العالمية الأولى وحرب الحبشة واستقر به المقام نهائيا في سوريا وألف عدة كتب لم نسعد بالحصول عليها أو بعضٍ منها .

وسبعين جنديا مقتولا ، أما الخسائر بين الضباط فكانت تسعة وعشرين قتيلاً وعشرة ضباط مفقودين . وقد حدثنا أحد المجاهدين أن الجند الايطاليين في موقعة يوم الجمعة كانوا يساقون كما تساق قطعان الأنعام وأن المجاهدين غنموا في ذلك اليوم فقط تسعمائة وتسع وتسعين بندقية إيطالية باستثناء قطع الأسلحة الثقيلة .(٣٥)

لقد كان لموقعة يوم الجمعة وما تبعها ردود فعل إيجابية بين المجاهدين إذ تقاطرت أعداد كبيرة من المتطوعين إلى المعسكرات الجديدة أو « الأدوار » التي أقامها السيد أحمد الشريف في مناطق متعددة منها معسكر ظبرق الذى عرف « بدور المدّور » والذى كان تحت قيادة أدهم باشا وحسن الزليتني وهو ضابط بالجيش التركى وآل المبرى من قبيلة عيت مريم وإلى الجنوب من القبة تأسس دور آخر عرف بدور أبو شمال كما عرف أيضا « بدور بير سمندر » وكان برأسه محمد حسين الحلافي شيخ زاوية المخيلي وآل بوفارس من زاوية أم أحفين وآل فركاش من زاوية بشارة بالقبة وآل العبيدى . ثم توجه السيد أحمد الشريف غربًا وأنشأ دور البراعصة في جردس الجرارى جنوب البيضاء وعيّن لقيادته ضابطًا تركيًا يدعى عبد الله تمسكت وكان يعاونه آل الغمارى من أسرة العلمى وكذلك آل الجبالى . وقد لعب هذا المعسكر دورًا منقطع النظير في حركة الجهاد الليبي إذ ظل يقارع الايطاليين بصبر وأناة حتى منتصف سنة ١٩٣٢ م . وإلى الغرب من جردس الجرارى أسس أحمد الشريف دورًا آخر في جردس العبيد وهو لايقل شأنًا عن سابقه إذ كانت قبيلة العبيد هى لحمة هذا الدور وسداه وتولى قيادة ذلك المعسكر ثلاثة رجال يعدون بحق من أعلام الجهاد الليبي وهم عمر المختار ويوسف بورحيل وعصمان الشامى . أما دور القطفيه فتأسس إلى الجنوب من بنغازى وأسندت قيادته إلى المجاهد صفي الدين السنوسي بمعاونة حسين بسيكرى وعلى العابديه وفضيل المهشهش .(٣٦) اتخذ السيد أحمد الشريف في بادئ الأمر مقر قيادته في مسوس وإن عرف بتنقله المستمر بين المعسكرات المذكورة لتذليل المشاكل وشد أزر المجاهدين .

ومن الواضح في هذه الفترة أن السيد أحمد الشريف كان على اتصال دائم بضباط « تشكيلاتي مخصوصة » الذين كانوا يمدونه بالذخائر والأسلحة والمال عن طريق الغواصات الألمانيه التي كانت تحطّ على بعض المنافذ الساحلية وخاصة في خليج سرت وامساعد . فقبل نشوب الحرب العالمية الأولى بقليل يذكر لنا المجاهد صالح بوعرقوب الذى كان مرافقًا للسيد

---

(٣٥) رواية المرحوم الحاج إبراهيم سليمان المنصورى ، أحد ضباط أحمد الشريف السنوسي ، الذى أخبرنا أنه أحصى تلك الأسلحة بنفسه .

(٣٦) رواية صالح بوعرقوب في المقابلة التي أجريت معه يوم ٤ أغسطس سنة ١٩٧٧ .

أحمد الشريف أن الأخير توجه إلى امساعد واستلم مددًا وصل عن طريق غواصة كان فيها نوري شقيق أنور باشا وجعفر العسكري . وبينما كان السيد أحمد الشريف في امساعد قام بتجنيد قبائل أولاد علي . (٣٧)

واجه أحمد الشريف مشاكل صعبة في نهاية سنة ١٩١٣ وبداية سنة ١٩١٤ م ومن بين هذه المشاكل :

(١) المسافات الشاسعة التي تفصل بين الأدوار في طبرق شرقًا وسرت غربا وفزان جنوبا . وعدم توفر وسائل المواصلات الحديثة للتغلب على هذه المصاعب .

(٢) إن وقوع خلافات حادة بين السيد أحمد الشريف والضباط الأتراك إزاء الاستراتيجية التي كان يجب اتباعها أدى بالضابط التركي عزيز علي بي بالخروج على السيد أحمد بعد أن اقنع لفيفًا من الضباط والجنود الأتراك بصواب رأيه ، فأخذ معه خزانة الجيش وبعض الأسلحة الثقيلة وتوجه إلى مصر بدون إذن من السيد أحمد الشريف القائد العام . (٣٨) وقد حاول بعض الأعيان إقناعه بالعدول عن رأيه أو على الأقل بترك الأسلحة الثقيلة لأنه لا حاجة له بها ولكنه أصر على رأيه . وعندما مرّ من جنوب طبرق تعرض له جماعة من قبيلة المنفه ويبدو أنهم أظهروا العنف لإقناعه فأصلاهم بنيران رشاشاته فقتل منهم العديد فثارت ثائرة القبائل هناك ولولا تدخل عمر المختار في هذه المسألة لتطورت تلك الحادثة بشكل أكثر فداحة . (٣٩) وطبقا لمقابلة أجريت مع صالح حرب في يونيه سنة ١٩٦٢ م أكد فيها على أن عزيز على أخذ معه المال المودع في خزانة الجيش والتي تركها أنور خصيصا لتدفع منها مكافاءات المتطوعين . وعندما وصل إلى الاسكندرية تركها هناك كأمانة عند أخت له . (٤٠) ولما قوبل عزيز علي بي في ١٣ يوليه سنة ١٩٦٢ م وسئل عن هذه الحادثة وقضية الخزينة رفض الإجابة عنها وعن الأسباب التي دعته إلى مغادرة برقة في أحرج الأوقات عندما كان مكلفًا بتولى مهام الدفاع عنها كجندى عثماني . (٤١)

---

(٣٧) نفس المقابلة السابقة .

(٣٨) نفس المقابلة السابقة .

(٣٩) ايفانز بريتشارد ، ص ١٢١ .

(٤٠) طبقا لمقابلة شفهية أجراها فيليب ستودارد مع صالح حرب ، قائد أركان جيش أحمد الشريف في شهر يونية ١٩٧٢ . ذكر أن عزيز علي المصرى أخذ معظم المال الموجود بخزانة الجيش معه عندما غادر برقة متوجها إلى مصر وتركها عند أخته بالاسكندرية التي كانت زوجة لحاكم القاهرة وقتئذ . انظر ستودارد ص ٩٢ .

(٤١) عبد المالك بن عبد القادر بن علي . **الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة في ليبيا** . الجزء الثاني ، دار الجزائر العربية ١٩٦٦ ص ٤٠ و٤١ .

أما الايطاليون فكانوا يراقبون هذه الأحداث بعين العدو المتشفي لأن هذا النمط من المشاكل كان يخدم مصلحتهم ولذا فإنهم أعدوا العدة للإقدام على إجهاض المقاومة بعد ما تعرضت إليه من وهن عقب انشقاق عزيز علي وأتباعه عن صف المقاومة . غير أن الايطاليين كانوا أسوأ حالاً من خصومهم العرب . فإذا قاسى العرب من الخسائر في الأرواح والمعدات وانتشار الأمراض ونقص الأطعمة . فإن الايطاليين أنهكتهم حرب العصابات وبعد خطوط مواصلاتهم وصعوبة الطقس ووعورة الأرض التي يتحركون عليها وفوق ذلك فإن شبح الحرب الكونية بدأ يطل عليهم بوجهه الكالح فاضطر إيطاليا إلى سحب بعض القطاعات من القوات المتواجدة في طرابلس الغرب .

ونخلص مما تقدم إلى أن المرحلة الثانية من حركة النضال الوطني في ظل التعاون مع منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » قد مرت بصعوبات ومزالق أهمها مايلي :

(١) نشوب حرب البلقان والآثار التي ترتبت عليها مثل الحاجة إلى استدعاء أقدر الضباط العثمانيين الذين كانوا يعملون على الجبهات في إقليم برقة وطرابلس الغرب .

(٢) تسليم أمور المقاومة إلى ضباط أتراك ليسوا على مستوى المسئولية فأدت تصرفاتهم إلى انشقاق صفوف المقاومة ، الأمر الذى أدى إلى إضعافها ومن ثم دفع الايطاليين إلى شن هجمات استهدف منها إنهاك المجاهدين والاستيلاء على مناطق استراتيجية جديدة .

(٣) حاولت منظمة « تشكيلاتي مخصوصة » أن تجعل من أحمد الشريف أداة طيعة تستغلها حسبما تمليه مصالح الامبراطورية العثمانية العليا وليس حسبما تقتضيه بمصالح إقليم برقة وطرابلس الغرب الملحة والمتمثلة في تصفية العدوان الايطالى . وفي هذا الخصوص حاولت (المنظمة) الزج بقوات أحمد الشريف في حرب مع الانجليز لم يكن في حاجة إليها في ذلك الوقت . ولما أدركت هذه المنظمة أن أحمد الشريف غير مقتنع بايجابية حرب مع الانجليز في ذلك الوقت على الأقل ، فإنها حبكت له مؤامرة أفضت إلى شن الحرب على القوات البريطانية في صحراء مصر الغربية باسمه زيفًا وآلت بالتالى إلى عواقب مؤلمة كما سنرى في المرحلة الثالثة من المقاومة في ظل الأدوار التي قامت بها منظمة (تشكيلاتي مخصوصة) .

المرحلة الثالثة ١٩١٥ — ١٩١٨ :

اتسمت العلاقات بين أحمد الشريف ومنظمة (تشكيلاتي مخصوصة) في الفترة الواقعة بين ١٩١٥ و١٩١٨ بتبادل عدم الثقة والغموض بين الطرفين .

فأحمد الشريف ذلك الرجل الصلب القوى الإيمان بقضيته وعقيدته لم يكن مستعدًا

على أى نحو كان إلى التذبذب في مواقفه . وعلى الرغم من العون المادى والمعنوى الذى كان يتلقاه من الدولة العثمانية إلا أنه في الوقت نفسه لم يكن مستعداً للالقاء بقواته المتواضعة في التهلكة . فهو عمليا لايزال في حالة حرب مع الفرنسيين في جنوب فزان تلك الحرب التي نشبت سنة ١٩٠٢ م ولم يوقفها إلا الغزو الايطالى على شمال البلاد ومن ناحية أخرى فإنه أى أحمد الشريف لايزال في حالة حرب مستمرة مع الايطاليين فهذه الحرب بالنسبة له كانت قضية مصيرية بل ينبغى أن تنال الأولوية . أما مسألة غزو مصر فهى في اعتقادى آخر ماكان يفكر فيه وذلك للأسباب الآتية :

(١) أن العلاقات بين أحمد الشريف والبريطانيين كانت حسنة وذلك لتسامح البريطانيين بمرور الأسلحة والمؤن والذخائر تودداً له واتقاء لمخاطره .

(٢) السماح للمواطنين المصريين المتعاطفين مع حركة نضال أحمد الشريف ضد الايطاليين بجمع المعونات والتبرعات المالية .

(٣) إدراك أحمد الشريف بعدم جدوى فتح جبهة ثالثة ، الأمر الذى كان في غنى عنه .

(٤) السواحل المصرية القريبة من حدود برقة كانت موانئ للمعونات الألمانية والتركية التي تصل إليه .

(٥) الواحات المصرية كانت تشكل نقاطاً حيوية للاتصال بالسودان والحجاز ومن ثم بقية البلدان العربية والاسلامية .

(٦) إن أحمد الشريف كان مدركًا بأن الصحراء الغربية ستكون مسرحًا للحرب بينه وبين الانجليز وهو أمر يشكل معضلة استراتيجية أمام جيشه الذى يعتمد أساسًا في تنقلاته على الإبل والخيول . في حين أن الجيش البريطاني مسلح تسليحا حديثا ومزود بالسيارات المصفحة والعربات القادرة على عبور الصحراء بسرعة تفوق أسلوب مواصلات جيشه العتيق .

(٧) ورغم احترام أحمد الشريف للسلطان العثماني كخليفة للمسلمين واتفاقه معه في المرسوم الذى أصدره في سنة ١٩١٤ م والقاضي بدعوة المسلمين كافة إلى (إعلان الجهاد) ضد الكفار وهو الأمر الذى قبله أحمد الشريف لأنه عمليا كان في جهاد مستمر منذ سنة ١٩٠٢ ، إلا أنه لم يجد تفسيرًا لاستثناء الألمان من قائمة الكفار .

(٨) تردى الأوضاع الاقتصادية في البلاد التي شهدت قحطًا ومجاعة لمدة ثلاث سنوات متوالية من سنة ١٩١٣ م إلى سنة ١٩١٥ م [٤٢] وانتشار مرض الكوليرا الذى

---

(٤٢) نفس المصدر السابق ، ص ٤١ .

عرف حينئذ بمرض «الكبة» . إذن فأحمد الشريف كان على دراية تامة بالمخاطر التي قد تنجم عن فتح جبهة ثالثة لنفسه مع الأنجليز في الصحراء الغربية . ورغم كل ذلك فقد حاولت تركيا إقناعه مرارًا بصواب شن الحرب على الانجليز في مصر واستغلت صداقة بعض ضباط (تشكيلاتي مخصوصة) له ومنهم على وجه الخصوص أنور باشا وشقيقه نوري وجعفر العسكري وغيرهم من المستشارين الأتراك في جيش أحمد الشريف . وقد استمر الجدل حول إيجابية شن هجوم على القوات البريطانية في الصحراء الغربية في الوقت الذي تخرج فيه قوات عثمانية من فلسطين عبر سيناء فتستولى على قناة السويس . كما يقوم في الوقت نفسه على دينار بثورة على الانجليز في دارفور بغرب السودان . (٤٣) ولممارسة مزيد من الضغوط على أحمد الشريف فإن نوري بي الذي كان يعد المسئول عن نشاط تشكيلاتي مخصوصة في إقليم برقة وطرابلس الغرب بعد مغادرة أخيه ، طلب إلى بعض الشخصيات المتنفذة والتي لها صلة بتنظيم تشكيلاتي مخصوصة عن دراية أو عن غير دراية مثل سليمان الباروني وجعفر العسكري أن يقنعا أحمد الشريف بمهاجمة مصر ومن ثم تخفيف الضغط على الجيش التركي المتقدم من فلسطين . وطبقا لرواية صالح حرب الذي كان قائدًا لأركان قوات أحمد الشريف حينئذ ، إن جعفر العسكري يئس من إقناع أحمد الشريف بجدوى الهجوم على مصر . (٤٤)

ومن ثم اتجهت النية بين ضباط (تشكيلاتي مخصوصة) إلى الخلاص من أحمد الشريف بإعداد انقلاب ضده وتفجير خيمته (٤٥) ووضع شخص آخر من العائلة السنوسية أسهل انقيادًا وانصياعًا لمخططات (تشكيلاتي مخصوصة) ولكن تم اكتشاف المؤامرة ومن ثم القبض على سليمان الباروني وشقيق لأحمد الشريف يدعى محمد هلال وآخرين أرسلوا جميعا تحت حراسة مشددة إلى الجغبوب ، غير أنه أطلق سراحهم بعد نشوب الحرب . (٤٦) ورغم اكتشاف هذه المؤامرة إلا أن الضباط الأتراك بالتعاون مع بعض ضباط أحمد الشريف المتعاطفين مع محمد هلال أصدروا أوامر مزيفة باسم أحمد الشريف بإعلان الحرب على الانجليز ، وفجأة داهموا القوات البريطانية المرابطة في ميناء السلوم

---

(٤٣) حسن قنديل فتح دارفور . الاسكندرية ، ١٩٣٧ ، يحكى هذا الكتيب قصة ثورة على دينار التي قام بها في شمال وغرب السودان والتي جندلها الانجليز من مصر قوة كبيرة لاستئصال شأفتها قبل استفحال أمرها خشية خطر أحمد الشريف السنوسي الذي يبدو أنه كان على اتصال مع على دينار .

(٤٤) مقابلة أجراها فيليب ستودارد مع صالح حرب في ٩ يونيو سنة ١٩٦٢ . انظر ص ٩٥ .

(٤٥) نفس المقابلة السابقة ، ص ٩٥ .

(٤٦) ايفانز بريتشارد ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، انظر أيضا ستودارد ، ص ٩٥ .

بهجوم شامل على المواقع الايطالية عرف بموقعة رأس اللبن أو القرقف استمرت ست عشرة ساعة متواصلة أبلى فيها المجاهدون بلاء حسنا .(٢٤) ورغم ما سمعته من إطراء ووصف جيد للبطولات الفذه التي قام بها المجاهدون الذين شاركوا في هذه المعركة إلا أننا لم نتمكن من الحصول على أرقام دقيقة عن الخسائر بالنسبة إلى الطرفين . وظلت المصادر الايطالية محتكرة لهذه الأرقام والحقائق وستظل كذلك ما لم تبذل جهود جادة لدراسة المصادر التركية المتوفرة . إن التقرير الذى كتبه أنور باشا في اليوم التالى لوقوع المعركة وما بعدها يكشف لنا مدى زيف المصادر الايطالية فيما تحمله لنا من أرقام وهى حقيقة أكدتها بعض المصادر العربية الأمينة التي نبهت إلى التحفظ إزاء الأرقام الواردة في المصادر الايطالية .(٢٥) فعلى سبيل المثال تشير المصادر الإيطالية أنه قتل عشرة من ضباطهم ومائة وسبعون من جنودهم في حين أنه استشهد من المجاهدين ١,١٣٥ وهو أمر يدعو بطبيعة الحال إلى الالتزام بالصمت حتى يسمع رأى الطرف الآخر أو ما تقوله مصادره .(٢٦) فأنور باشا يعطينا أرقامًا تفضح دجل المصادر الايطالية ، إذ سجل لنا في مذكراته أنه فقد في تلك المعركة ثمانية وتسعون شهيدًا ومائة وخمسة وثمانون جريحًا في حين أن جواسيسه أخبروه بأن الايطاليين خسروا ثمانمائة قتيل وجريح .(٢٧)

ومما زاد أنور باشا زهوًا وفخارا ذلك الموقف الشجاع الذى أبدته القبائل التي فقدت رجالاً لها في تلك المعركة فسجل لنا موقف قبيلة الحاسة البطل عندما أراد الايطاليون شراء ولائهم وعزلهم عن صفوف المقاومة بإطلاق سراح جرحاهم العشرين الذين وقعوا في أيدى الايطاليين فكان رد تلك القبيلة على الوسيط الايطالى « إنكم جئتم لتدمروا أرضنا وتدنسوها

---

(٢٤) يقصد بهذه المعركة التي استمرت ست عشرة ساعة متواصلة ، موقعة « رأس اللبن أو القرقف » التي جرت على منطقة جبلية مرتفعة تطل على مدينة درنة من ناحية الجنوب الشرقي . وبدأت هذه المعركة في فجر يوم ١٧ من سبتمبر ١٩١٢ واشتركت فيها معظم قبائل الحرابي . وقد نجم عن تهور المجاهدين هزيمة غير متوقعة . وقد حاول الايطاليون ملاحقتهم في اليوم التالى وجرت معركة تمسكت الشهيرة على مقربة من وادى الناقة التي هزم الطليان فيها هزيمة نكراء . وقد سجل الشعراء الشعبيون قصائد رائعة في هاتين المعركتين أشهرها جميعا قصيدة الشاعر حسن يوسف بوعطاره ومطلعها : « رأس اللبن صار فيه الملاقا ، وحمين أسواقه ، جميع من حضر فيه فاقد رفاقه » وقد أشار أنور باشا في مذكراته بهذه المناسبة إلى قصائد شعبية ألقيت رثاء لمن استشهد في هاتين المعركتين الشهيرتين . انظر مادونه أنور باشا في ١٤ يناير ١٩١٢ .

(٢٥) إن أهم هذه المصادر ما كتبه لنا المراسل الصحفي المعروف :

Francis McCullagh, "Italy's war for a Desert." Chicago, F. G. Browne and Co. 1913.

قام المترجم بنقله إلى العربية وسيصدر قريبا .

(٢٦) انظر مادونه لنا أنور باشا في مذكراته يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٢ .

(٢٧) محمد خليفة التليسي ، **معجم معارك الجهاد في ليبيا ١٩١١ — ١٩٣١** . بيروت — دار الثقافة الطبعة الثالثة ١٩٧٣ ، ص ٤٣١ . وانظر أيضا ايفانز بريتشارد ص ١٢ ، ومادونه أنور باشا يوم ٢١ سبتمبر ١٩١٢ .

وأحمد الشريف وخاصة بعد أن عسكر الأخير بفلول جيشه المنهك القوى في خليج سرت على أمل أن يواصل نضاله بصفته حاكمًا لإقليم طرابلس الغرب وبرقة . غير أنه لما ثبت لمنظمة « تشكيلاتي مخصوصة » أن أحمد الشريف لم يكن أداة طيعة في أيدى أولئك الضباط الأتراك فإنهم تركوه يهيم على وجهه بجيشه المثخن في سبيل الامبراطورية العثمانية وبدأوا لعبة جديدة فاستصدروا مرسومًا سلطانيًا آخر للمجاهد سليمان الباروني ليكون حاكمًا على إقليم برقة وطرابلس ، وقد تمادى هؤلاء الضباط في غيهم فأضحت مؤامراتهم تزداد كل يوم وضوحا . ويحدثنا في هذا الشأن محمد الأخضر العيساوى بأن مجموعة من الضباط الأتراك حملوا خطابات من نورى بي إلى رمضان السويحلى يحذره فيها من التعامل مع أحمد الشريف ويحثه على نبذ طاعته واعدًا إياه بمستقبل زاهر . (٥١) وفي أواخر سنة ١٩١٦ م اشتد ساعد رمضان السويحلى وخاصة بعد أن أصبح المحور الوحيد الذى ارتكزت حوله نشاطات ضباط « تشكيلاتي مخصوصة » في الوقت الذى آل فيه نجم أحمد الشريف إلى الأفول وتفشى بين جنده الجوع والمرض . وعلى هذا النحو أصبح أحمد الشريف وجيشه الجائع محاصرًا في خليج سرت لايلوى على شيء سوى نسخة من المرسوم السلطاني بتعيينه حاكمًا على الاقليمين . وأدرك بعد فوات الأوان أن ذلك المرسوم لن ينقذه وجيشه من الهلاك المحقق بعد أن أصبح بين خصمين شرسين : إدريس السنوسي يسانده الايطاليون والانجليز في الشرق والتجمع الجديد المتألف من نورى بي ورمضان السويحلى وسليمان الباروني وعبد النبي بالخير في الغرب .

ولكى تعيد تشكيلاتي مخصوصة الثقة إلى رجالها وهو أمر طبيعى لأى تنظيم سرى فقد استدعت نورى بي وأوكلت إليه مهامًا جديدة في أذربيجان لمناوأة الاستعماريين الانجليزى والروسي . وجاء إلى طرابلس خلفًا له عثمان فؤاد أفندى الذى ظل ممثلا للسلطان العثماني في الاقليمين حتى نهاية الحرب الكونية الأولى . (٥٢)

أما أحمد الشريف فبعد أن فقد من يديه كافة أوراق اللعبة فقد فضل قبول دعوة موجهة إليه باسم السلطان العثماني للقيام ببعض الجهود الخيرية الإسلامية التي كانت تخدم بالدرجة الأولى مصالح الامبراطورية . في حقيقة الأمر أن أنور باشا الذى شغل منصب وزير الحربية حينئذ كان وراء دعوة صديقه الحميم أحمد الشريف . لقد كان ظاهر هذه

---

(٥١) نفس المصدر السابق ، ص ٥٠ ، ومقابلة صالح بوعرقوب . انظر أيضا ستودارد ص ٩٩ ، وانظر أيضا محمد الأخضر العيساوى . رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار . القاهرة ، مطبعة حجازى ، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٦ ، ص ٣٦ .

(٥٢) نفس المصدر السابق ص ٣٧ .

الدعوة أن ينال أحمد الشريف، كبطل إسلامي مرموق، شرف تقليد «سيف عثمان» السلطان محمد وحيد الدين كخليفة للمسلمين. أما باطن هذه الدعوة كما أراد لها أنور باشا هو استغلال سمعة أحمد الشريف الاسلامية لإخماد روح الثورة التي قادها الشريف حسين في الحجاز وسوريا والتفاوض مع الشريف حسين باسم الدولة العثمانية. في سنة ١٩١٨ م بعث أنور باشا بوفد يتألف من يوسف بن شتوان [٥٣] وحسام الدين بي وكلاهما عضوان هامان في منظمة «تشكيلاتي مخصوصة» فوصلا إلى البريقة في أوائل سنة ١٩١٨ م في غواصة خاصة يحملان خطاب دعوة السلطان محمد وحيد الدين، فسافر معهما أحمد الشريف في وقد يتألف من تسعة أعضاء. [٥٤] وبمغادرته انطوت صفحة ناصعة من الجهاد الليبي سطرت بكل عزيمة وإصرار لايعرفان اللين والمهادنة ضد عدوان إيطاليا الغاشم.

من هو أنور باشا الذى قام بهذه الأدوار والذى سنقرأ بعد قليل ما دونه لنا أثناء إقامته على ضفاف وادى درنة في الفترة من منتصف شهر نوفمبر ١٩١١ إلى أواخر نوفمبر ١٩١٢؟

لقد مكّننا الأستاذ — محمد الأسطى المترجم الأول بدار المحفوظات التاريخية — من الاطلاع على شهادة ميلاد أنور باشا وشجرة عائلته وبعض الوثائق الأخرى كما أمدنا مشكوراً بترجمة ماكتب بالتركية من هذه الوثائق. فشهادة الميلاد مدوّن فيها أن أنور باشا كان يدعى إسماعيل أنور بي بن أحمد، وولد في اسطنبول سنة ١٢٩٨هـ (١٨٨٢ م). [٥٥] وكان والده تركيًا بينما كانت والدته ألبانية الأصل، أما جدته لأبيه فتنحدر من أصول شركسية. دخل المدرسة العسكرية الثانوية في ولاية منستر وبعد أن تخرج منها التحق بالكلية العسكرية في اسطنبول واشتغل [٥٦] كضابط في أحد قطاعات الجيش العثماني في سالونيك التي أصبحت فيما بعد منطلقاً لضباط تركيا الفتاة وقد ساهم مساهمة فعالة في محاربة عصابات البلغار واليونان المتمردين على الحكم العثماني آنذاك فنال بعد تلك الحرب لقب بطل الاستقلال.

---

(٥٣) فيليب ستودارد، ص ٩٩.

يوسف بن شتوان ينحدر من أسرة معروفة في بنغازى وكان يشغل في ذلك الوقت منصب رئيس محكمة الاستئناف العسكرية في الامبراطورية العثمانية، انظر ستودارد ص ٩٩.

(٥٤) كان وفد احمد الشريف حسب رواية صالح بوعرقوب يتألف من كل من أحمد الشريف وصالح محمد بوعرقوب والدكتور عبد السلام المسلاتي وعبد السلام بوقشاطة العربية والشيخ محمد عبد الله البيوب الزوى شيخ زاوية سيوة وعبد السلام حسين السوداني والسنوسي عبد السلام الجريدى وصالح محمد حرب.

(٥٥) هو إسماعيل أنور بي بن أحمد ووالدته عائشة هانم. انظر الملحق الثاني الخاص بشجرة العائلة، وانظر الملحق الأول الخاص بشهادة الميلاد.

(٥٦) انظر الملحق الثالث الخاص بالمدرسة العسكرية التي تخرج منها أنور باشا ومصطفى كمال.

وجد أنور باشا في طلعت (باشا فيما بعد) أحد مفكرى حركة تركيا الفتاة ، وجد فيه صديقًا حميمًا ، وفي سنة ١٩٠٨ قام كمساعد للجنرال حسين حلمى بالتعاون مع نيازى بي برفع راية التمرد في قطاع ما سيدونيا الجبلية طالبين إعادة العمل بدستور سنة ١٨٧٦ الذى أبطل السلطان عبد الحميد العمل به . ودخل اسطنبول في مظاهرة عسكرية حققت بعض الانتصارات وخاصة بعد أن غض السلطان المذكور الطرف عن تحرك ذلك القطاع من جيشه وبهذا حقق أنور انتصارًا باهرا وأخذ العامة ينظرون إليه بإعجاب غير أنه أدرك بثاقب بصره أن الوقت الملائم لم يحن بعد للقيام بدور أكثر فاعلية لحفظ صروح الامبراطورية المتداعية . رقي بعد ذلك إلى رتبة رائد وبعث به إلى برلين كملحق عسكرى وظل يشغل ذلك المنصب من سنة ١٩٠٩ إلى ١٩١١ م . وقد واصل أثناء هذه الفترة دراسته في الشئون العسكرية وأبدى اهتمامًا باللغة الألمانية وآدابها . وعندما تعرضت بلاده إلى ضائقة سياسية سنة ١٩٠٩ عاد مسرعًا وتمكن بالتعاضد مع محمود شوكت من التصدى للرجعيين ومن ثم إسقاط السلطان عبد الحميد بيد أنه لم يلبث أن عاد إلى برلين بعد أن سقطت العاصمة العثمانية في يديه .

وعندما أعلنت إيطاليا الحرب على الامبراطورية العثمانية بغزوها لإقليم طرابلس الغرب عاد أنور من برلين مسرعا فشكل بالتعاون مع ضباط « تشكيلاتي مخصوصة » قوة ضاغطة على الحكومة العثمانية لكى تنتشل سمعتها التي مرغت في الوحل أمام الشعوب الاسلامية . وبعد أخذ ورد وافقت وزارة الحربية على أن تبعث بجماعة من الضباط لكى يدخلوا إلى برقة وطرابلس تسللاً كما أوضحت سلفًا. وبقي أنور باشا مجاهدًا مناضلا لمدة عام كامل قام فيه بتشكيل جيش قوى قوامه ستة عشر ألف مقاتل كما شكل حكومة مدنية كانت لحمتها وسداها من سكان البلاد وعندما عقدت معاهدة أوشي / لوزان بين تركيا وإيطاليا وما أعقبها من مخاطر حرب البلقان التي عصفت بالامبراطورية العثمانية ، اضطر أنور باشا إلى ترك مهمته في قطاع درنة والعودة مسرعًا إلى بلاده تاركًا أمور إقليم طرابلس الغرب في أيدى المجاهد أحمد الشريف . وعندما وصل أنور إلى اسطنبول أنعم عليه برتبة مقدم وأسندت إليه رئاسة أركان الفيلق العاشر من الجيش العثماني . وقد حاول أثناء قيادته لذلك القطاع من الجيش أن يقوم في الثامن من نوفمبر ١٩١٣ م بعملية عسكرية في شاركوى إلى الشرق من جزيرة غاليبولى غير أن تلك العملية باءت بالإخفاق . ولم يلبث بعد ذلك أن قام بالتعاون مع ضباط حركة تركيا الفتاة بمحاصرة عدوه وزير الدفاع ناظم باشا الذى أطلق عليه الرصاص فأردى قتيلا كما أجبر الصدر الأعظم على شغل معظم المناصب الشاغرة بضباط حركة تركيا الفتاة . ولكن سرعان ما اغتيل وزير الدفاع محمود شوكت في شهر يونيه ١٩١٣ الأمر الذى زاد من سخط الجمعية ضد رجال العهد القديم . وقد أعقب هذه الأحداث رد

فعل عنيف من قبل أعضاء جمعية تركيا الفتاة إذ قام أنور باشا بتصفية الجيش فأعفي ١٣٠٠ ضابط من الخدمة العسكرية من بينهم ١٥٣ ضابطًا برتبة لواء في يوم واحد فقط ووضع نفسه على رأس جيش تمكن به من هزيمة البلغار ورقي بعد ذلك نفسه إلى رتبة مشير ثم استولى على منصب وزير الحربية وقد ازداد نفوذه وسطوته بعد أن تزوج من بنت أخت السلطان المسماة ناجية (٥٧) وقد ظل أنور مسيطرًا على الأمور في الامبراطورية بصرامة

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى أخذت أصابع الاتهام تشير إليه على أنه هو الذي عجل بدفع الامبراطورية إلى التحالف مع ألمانيا ضد الحلفاء . وعندما انهار الجيش التركي أمام قوات الحلفاء هرب أنور باشا من أوديسًا إلى ألمانيا وفي سنة ١٩١٩ م صدر ضده حكم غيابي بالإعدام نظرًا لتوريطه للامبراطورية في هزائمها المنكرة حسب اعتقاد خصومه الذين حاكموه غيابيًا .

أما عن حياة أنور باشا بعد هروبه إلى ألمانيا فقد ظل يكتنفها الغموض ، ولعب أدوارًا نضالية شبيهة إلى حدّ كبير بما قام به تشي جيفارا في أمريكا اللاتينية في الستينات من هذا القرن . وبعد أن نال عطف الحكومة البلشفية الجديدة في روسيا دعى لحضور مؤتمر علني في باكو كان فيه أنور باشا ممثلاً لنضال شعوب ليبيا وتونس والجزائر ومراكش . وقد أعلن في ذلك المؤتمر ما عرف « بتجمع الشعوب الاسلامية الثورى » . (٥٨)

وفي ذلك المؤتمر تحالف أنور باشا مع لينين وكان كل منهما يسعى إلى الاستفادة من الآخر : فلينين كان يهدف من دعوة أنور باشا إلى القضاء على حركة ثوار تركستان ضد روسيا في الوقت الذى كان فيه أنور باشا يطمع إلى استغلال لينين من أجل إحياء امبراطورية إسلامية تشمل تركستان وافغانستان ومن ثم دعوة المسلمين في الهند إلى الثورة ضد الحكم البريطاني . (٥٩) ولكى يحقق هذه الغاية ذهب أنور إلى بخارى فاستقبله أميرها استقبالاً عظيمًا وحاول أن يكرر معه نفس التجربة التي سبق له أن قام بها في برقة مع أحمد الشريف إذ أنه حاول أن يقيم جيشًا إسلاميًا بالتعاون مع الأمراء المحليين ، الأمر الذى أقلق الحكومة البلشفية مما طوّر الخلاف بين أنور باشا ولينين إلى حرب حقق فيها أولهما في بداية الأمر انتصارات باهرة مما أوغر صدر إبراهيم بك أحد قادة أمير بخارى الذى اتهم أنور بأنه يرنو إلى الإطاحة بالأمير . وفي هذا الخصوص كتب أنور باشا إلى أمير بخارى قائلا « أيها

---

(٥٧) انظر الملحق الرابع وهو يتمثل في صورة لحفل زفافه لبنت أخت السلطان العثماني المسماة ناجية .

(٥٨)
Daz-Deutsche Allgemeine Zeitung "German Central Newspapers" March, 4, 1931, translated into English by Irmengard Staeuble

(٥٩) Dankwart A. Rustow, "Enver Pasha" Encyclopaedia of islam". Second Ed. 1960, pp. 698 702.

الأخ العزيز إنا حققنا انتصارات باهرة في معاركنا مع الروس . . . وإنني أصبحت الآن أكثر قناعة بأن إبراهيم بك سوف لن يمدّ لنا يد العون ، ولذا فإنني مضطر إلى أن أضع نهاية لهذه المشاكل الداخلية فالرجاء أن ترسل لي الخمسمائة رجل كحرس خاص مع المدافع » . (٦٠) ولم يتمكن الروس من هزيمة أنور باشا إلا بالتعاون مع بعض الأفراد المحليين وعن طريق عملية فدائية أودت بحياة انور باشا نفسه ذلك البطل العثماني الغيور . إن المصادر الأوربية التي كتبت عن تاريخ وفاته أعطت معلومات متضاربة غير أن الأستاذ محمد الأسطى زودنا أيضًا بصورة من برقية تحمل نبأ وفاته بعث بها نائبه العقيد على رضا ونص هذه البرقية ما يلي :

« حضرة الشهيد المحترم أنور باشا » .

« نال الشهيد المحترم انور باشا مرتبة الشهادة في سبيل الهدف المقدس في « محل شاه خان » من ولاية « بلغ جوان » عند ظهر يوم الجمعة ثاني يوم عيد الأضحى الموافق ١١ ذى الحجة سنة ١٣٤٠ هـ الموافق ٤ أغسطس ١٩٢٣ م وقد سال دمه الطاهر « في هذا اليوم » على تراب « بلغ جوان » في موقف بطولى ورجولى » . (٦١)

إن المذكرات اليومية التي دونها أنور باشا منذ إقلاعه من استانبول في طريقه إلى برقة وحتى خروجه منها كانت عبارة عن ملاحظات يومية كان يبعث بها في شكل رسائل إلى أصدقائه وذويه . وفي أثناء إقامته في برلين منذ صيف ١٩١٨ إلى سنة ١٩١٩ عمل على نشر هذه المذكرات فترجمها إلى الألمانية فردريك برزبنسكى ونشرت في أواخر سنة ١٩١٨ م وقد ذكر المترجم في مقدمته صراحة أن انور باشا لم يكتب هذه اليوميات بلغته القومية . (٦٢) ولما كان أنور لايجيد الانجليزية والايطالية إلى الحد الذى يمكنه من كتابة مذكراته بهاتين اللغتين فإننا نميل إلى الاعتقاد بأنه دونها باللغه الفرنسية التي كان شغوفًا بها وبآدابها . فالمذكرات ما هي إلا خواطر وأفكار وملاحظات ووصف للمعارك وتقارير مالية

---

(٦٠) Daz-Deutsche Allgemeine Zeitung "German Central Newspapers" March. 4. 1931. translated by I. Staeuble.

(٦١) إمضاء وختم جيش الثورة الطورانية قائد جبهة تركستان وأمير الجيش الاسلامي في بخارى نائب أنور باشا العقيد على رضا ، انظر الملحق السادس وهو عبارة عن صورة طبق الأصل للبرقية التي حملت خبر وفاة أنور باشا في بلغ جوان والتي بعث بها العقيد على رضا ، وانظر أيضا :

Sevket Sureyya Aydemır Makedoya'dan Ortaazya'ya: Enver Pasa 1914–1922. Instanbul remzıkitabevi 1972 vol. LII.

(٦٢) زودنا الدكتور عماد الدين غانم مشكورا برسالة حصل عليها من أرشيف وزارة الخارجية الألمانية الغربية موجهة من فردريك برزبسكى الذى قام بترجمة مذكرات أنور باشا إلى الألمانية ، يطلب فيها المساعدة العاجلة بتزويد الناشر بكمية من الورق وزنها ستة آلاف كيلو غرام لغرض نشر ثلاثين ألف نسخة من مذكرات أنور باشا التي بين أيدينا . وهذه الرسالة مؤرخة في الثامن من ديسمبر ١٩١٧ وتحمل الرقم الإشارى أ/١١٢٧٤ برلين . انظر الملحق السابع .

ووصف الإقليم ولكل ما كان يعتور نفسه أحيانًا من آمال وآلام ومخاوف ومطامح .

ورغم قصر المدة التي قضاها في قطاع درنة إلا أنه حقق نجاحًا باهرًا فأحبه الناس هناك وأحبهم وقد أثبت أثناء بقائه هناك قدرة فائقة في التنظيم والإدارة فتغلب على كثير من المشاكل التي واجهته في بداية الأمر .

ومما يؤخذ على هذه المذكرات عدم ترابطها ووحدة موضوعها فيحدُثُ أن يسجل لنا خواطره ذات يوم ، ثم ينقطع عن التدوين عدة أيام ، وقد يدوّن بعض المعلومات — أحيانا — عن أحداث ماضية وقعت منذ أيام ، بل إنه قد يقحم في موضوعه حديثًا آخر لا علاقة له بما قبله أو ما بعده .

وقعت النسخة الألمانية من هذه المذكرات في يدى سنة ١٩٧٥ وقام أحد الأصدقاء الأمريكيين وهو السيد رفائيل نورمان الأسكندر بقراءة بعض أجزائها ولما أدركت أهمية هذه الوثيقة التمست إليه أن ينقلها إلى الانجليزية لكى يسهل عليّ معرفة ما يدور فيها وقد قام مشكورًا بنقلها إلى الانجليزية . وبعد أن قرأت ترجمته مرارًا أحسست بمدى أهمية تلك المذكرات وعزمت على نقلها إلى العربية . وتكمن أهمية هذه المذكرات في كونها هى التقرير الوحيد — على ما أعلم — الذى وصلنا مدونًا يعبر تعبيرًا صادقًا عن وجهة نظر المجاهدين ونضالهم في الفترة ما بين ١٩١١ وحتى ١٩١٢ م .

ومما يؤسف له كل الأسف أن أحدًا من مجاهدينا الذين شهدوا تلك الأيام المليئة بالبطولات والتضحيات لم يسجل لنا ذكرياته على النحو الذى قام به انور باشا فتكون بذلك خير معين لنا على إدراك ما جرى بكل دقة وتفصيل . فكل ما نعرفه الآن على المستوى المحلى ما هو إلا شتات من الخواطر لأحداث متناثرة هنا وهناك ، وجل المجاهدين الذين سبق وأن استمعت إليهم قد عفى على ذكرياتهم الزمن وأضحى ما شهدوه في تلك الحروب الضارية أدنى منزلة وأقل شأنا ممّا حل بهم من ويلات في الحروب اللاحقة التي خاضها عمر المختار وما تبعها من أحداث أليمة في حرب الحبشة والحرب الكونية الثانية . لقد كانت الإجابات تأتيني دائمًا في سرد باهت غير مترابط يعوزه التيقظ الذهني والتسلسل المنطقي . ولم يبق في أذهان أولئك الأبطال إلا ما بقي من آثار معسكرات أنور باشا في عين أبي منصور « والظهر الحمر » و« الطنجى » التي أصبحت في نظر مشاهديها شظايا من التاريخ محطمة فوق تلك الأراضي الصخرية الصعبة المنال .

المقدمة

خمس سنوات قد خلت منذ أن دوّن أنور باشا مسودة مذكراته هذه ، التي أقوم الآن بنشرها وقد اعترى الشحوب اليوم تلك السنوات بما شهدته من نضال عنيف ، وما سبقتها من أحداث لازمت الهجوم الايطالى على طرابلس ، اعتراها اليوم الشحوب وطواها النسيان وأصبحت أقصوصة في ذمة التاريخ .

بيد أن هذه الصفحات التي سطرها أنور باشا بادئ ذى بدء ليبعث بها إلى أصدقائه ، لاتزال اليوم ذات قيمة خاصة منورّة ومسلية .

لقد رأى مسطر هذه الصفحات عندما كان له دوره على المسرح السياسي آنذاك بما كان يلوح في الأفق الدبلوماسي من مشاكل عويصة تترقب بلاده .

كان أنور باشا يرى بثاقب بصره أن حملة طرابلس ليست إلا تمهيدًا لأحداث أشد فداحة ، الأمر الذى دفعه إلى ترك برقة التي عشقها وأحب أهلها ، عائدا إلى بلده الذى عصفت به أحداث البلقان . إن قيمة هذه المذكرات اليومية تكمن في الدور البالغ الأهمية الذى لعبه أنور باشا في تاريخ تركيا المعاصر، وفي الدور العام الذى اضطلع به في القتال الذى دارت رحاه إلى جانب ألمانيا .

وعلى الرغم من أن تدوين أنور باشا ليومياته هذه بلغة غير لغته القومية قد شكل أمامه عائقا في سلاسة الأسلوب وحرية التعبير ، فإن ما تضمنته من ملاحظات يوحى ببعد نظر ذلك الجندى الوطني الفذ العظيم . إن في هذه اليوميات دحضا للزيف الايطالى عن تلك الحرب ، ولذا فهى تعد بحق أول تقرير جدير بالثقة ، يصف ذلك القتال البطولى ، الذى قام به الطرابلسيون ضد المعتدين الأجانب .

إن رائد تلك المقاومة المتواضعة ومنظمها ، كان في بداية أمره بائسا قنوطا ، يحكى لنا بأمانة قصة تلك المقاومة العنيدة الشرسة . فوصفه المتّسم بالدقة والإخلاص لما كان يجرى لم

يقتصر على ما قدمته عصبته من أعمال بطولية ، بل أبت عليه أمانته إلا أن يحكى بطولات الضباط الايطاليين رغم الغضب المتقد بين جوانحه من جراء ذلك الغزو الايطالي الرعديد ضد بلاده .

إن أنور باشا بالإضافة إلى كونه قائدا عسكريا ، يعد أيضا منظما من الطراز الأول في الشئون المدنية .

إن أهم أقسام هذا الكتاب إجمالا وبدون ريب ، هو ما يتعلق بوصفه لحركة الانبعاث الروحى التي أوجدها بل أحياها أنور باشا بين سكان برقة وخاصة في الشئون المدنية والعسكرية . لقد تحقق ذلك في وقت قصير للغاية وبوسائل جد متواضعة وفي ظروف خارجية بالغة الخطورة .

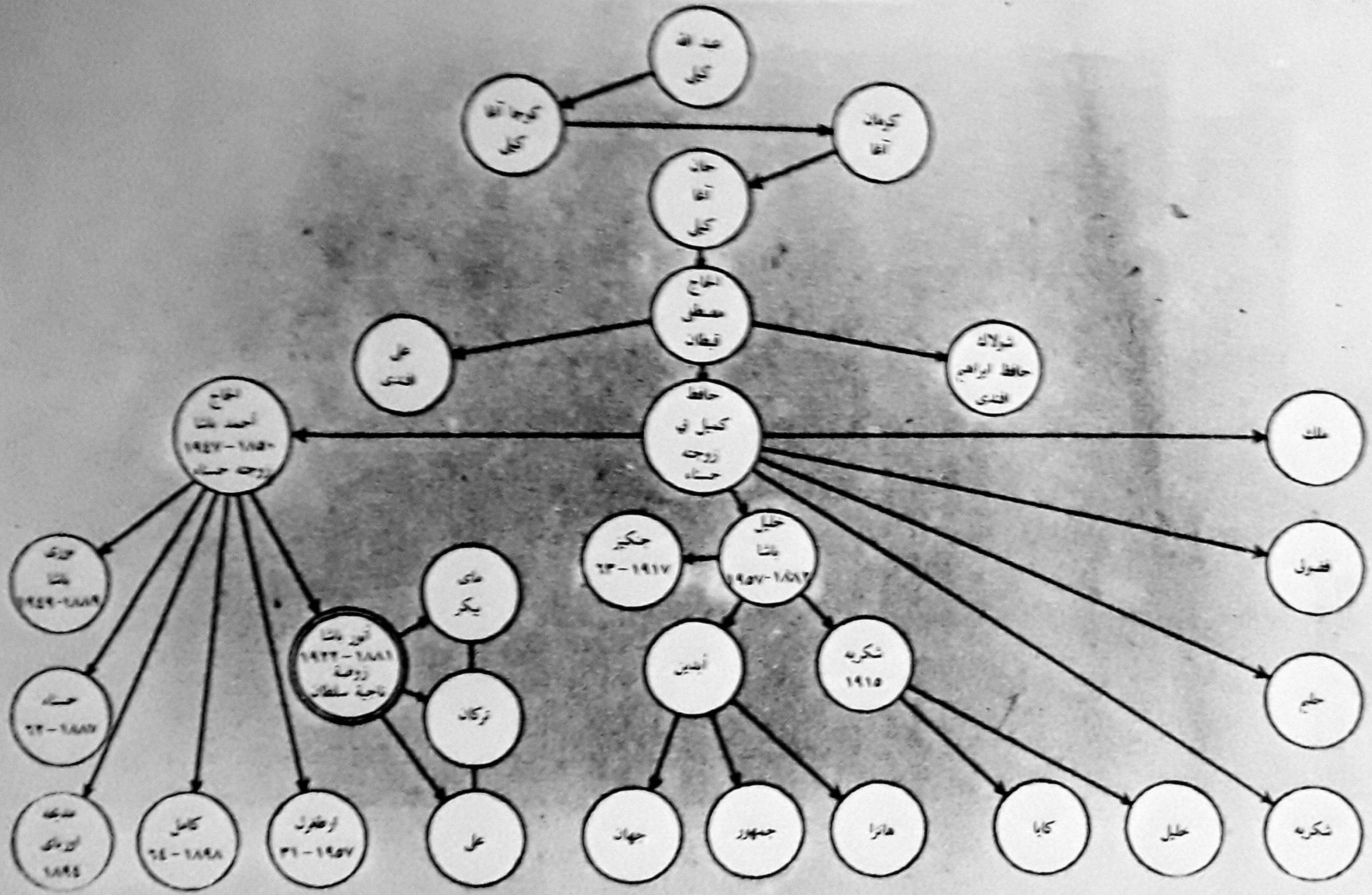
إن تقاريره هذه توضح بحق ، كيف أن بإمكان قائد ضليع أن يجعل من القبائل العربية المعروفة بعنونها وصعوبة مراسها شعبا متماسكا بعد أن يستحوذ على ثقتهم به وحبهم له .

لعل أولئك الطرابلسيين البواسل « الاتقياء والفقراء والأمناء » كما ورد في وصف أنور لهم ، لعلهم يحققون ما يصبون إليه من التحرر من الهيمنة الأجنبية ، ذلك التحرر الذى كان قاب قوسين أو أدنى منهم تحت قيادة انور باشا .

مذكرات

انور باشا

شجرة العائلة لأنور باشا .



المذكرات

سلونيك في ٤ سبتمبر ١٩١١ :

كان القمر يبعث أشعة نوره الفضية على ضفاف نهر الواردار عندما كنت جالسا بمفردى في مقصورتي بالقطار ، مطرقا أفكر في الأحداث المأسوية التي جرت في الأسابيع الماضية . وبينما كان القطار يطوى المسافات كنت أرى على جانبي الطريق ظلال بقع سوداء على بطاح المنحدرات الرطبة عن يمين ذلك الشريط الفضي العميق من النهر وشماله ، فالقطار الذى اندفع في ذلك الطريق الذى نحتته الطبيعة ظل منسابا يحمل آلامى وأحزاني طوال هدوء ذلك الليل البهيم . وعند وصولى إلى محطة القطار ، كان في استقبالى أصدقاء اصطحبوني فور وصولى إلى مقر الجمعية المركزية حيث بدأ بعد ذلك مباشرة نقاش طويل استمر خمس ساعات ، وفي ذلك الاجتماع قبلت الاقتراحات التي تقدمت بها ، وخلصنا إلى تقديم النصح للحكومة بأن تشن حرب عصابات في دواخل إقليم طرابلس الغرب . فالايطاليون قد يسيطرون على السواحل وهو أمر ليس صعبا أمام مدفعيتهم الثقيلة وسفنهم الحربية . أما نحن فسوف نقوم بتجميع قواتنا في دواخل البلاد ، ففرق الفرسان العرب تحت قيادة ضباط تركيا الفتاة سوف تظل في اشتباك مستمر مع الطليان لمضايقتهم ليلا ونهارا ، فكل جندى إيطالى أو فرقة عسكرية إيطالية صغيرة سوف تكون هدفا للكمائن وستهزم شر هزيمة . وسوف يكون من سياستنا أن نتحاشى الصدام المباشر مع القوات الايطالية الضخمة هادفين دائما إلى محاولة جر العدو بعيدًا عن نقاط إمداداته الساحلية حتى يتوغل إلى الجنوب ومن ثم نكر عليه وخاصة أثناء الليل . وسنؤكد لأوربا المتحضرة دوما أننا لسنا بربرا بدون رادع ولاقانون وأننا فوق ذلك نستحق كل تقدير وإجلال . وعلى هذا السبيل فإما أن يحقق لنا النصر وإما أن تكتب لنا الشهادة في ميدان الشرف .

بعد يوم الغد سأسافر إلى اسطنبول لأكون على بينة من مجريات الأمور هناك . ففي الوقت الحاضر تشكلت حكومة مؤقتة جلها من حزبنا وإذا ما ووفق عليها من قبل البرلمان

فينبغي أن توجد حلولا للمعضلات التي نواجهها لأن الدول العظمى تركتنا نواجه قدرتنا بمفردنا .

اسطنبول في ٩ أكتوبر

استيقظت عند الخامسة صباحا وخرجت أجوب أطراف المدينة لشراء بعض اللوازم ولاستكمال الاستعدادات النهائية وكان قد تم لى قبل ذلك مقابلة السلطان الذى بدا لى هادئا رابط الجأش . غير أنه كان كئيبا حزينا . فهذا الرجل الكهل الجليل . كان حريا به أن يعنى من ذلك الشقاء الذى يتعرض له بلده . فالقدر يبدو أحيانا قاسيا ، فطرابلس ذلك البلد التعيس قد فقد الآن . ومن يدرى فربما يفقد إلى الأبد ، وإذا كان الأمر كذلك . فلماذا أذهب إلى هناك ؟ إنه الشعور بضرورة تأدية الواجب الملقى على كواهلنا إزاء العالم الاسلامى الذى يتوقع منا الذود عن حياضه . وبينما كنت أسطر هذه الكلمات قبل إقلاعى بقليل كان يخالجني إحساس بأن عددا قليلا من الناس يدركون مدى صعوبة العمل الذى يواجهني .

في الطريق : ١٠ أكتوبر ١٩١١ :

كل شىء يبدو هادئا على ظهر السفينة . الحياة تسير في مجراها الرتيب وكأن شيئا لم يكن من أمر الحرب . إن الإرهاق والخيبة يستبدان بكياني مهددين ، وأخذ الشعور بالخوار يدب إلى فتبددت قواى وأحسست بأنني لن أستطيع إنجاز ما أوكل إلى من الواجبات التي تنتظرني . ورغم أنني كنت أبدو في حالة تنكر تامة بالنظارات الزرقاء التي وضعتها فوق عيني ولشواربي التي حلقتها وبالطربوش الأسود الذى أغمدت رأسي فيه حتى حواجب عيني ، وبالرغم من كل ذلك فإن شعورا بالخوف كان يعتريني ولعلى بذلك قد أثرت انتباه من كان حولى .

١٤ أكتوبر ١٩١١ :

ظل التوتر وخيبة الأمل يلازمانني طوال تلك الليلة ، فلم أذق طعما للنوم ، وقبيل الصبح خرجت على ظهر السفينة وأخذت أصعد وأهبط بشكل متكرر كالمعتوه حتى شعرت — تدريجيا — بالإعياء من كثرة تطوافي واستمراره . ويبدو أن هيكل تلك السفينة الضخم لم يعرني انتباها فظل منسابا يشق عباب البحر الأبيض المتوسط بهدوء . وفي هذه

الأثناء تناهى إلى مسامعى من المحادثات التي كانت تجرى حوالى ، أن في إمكان المرء مشاهدة السفن الحربية الايطالية من بعيد ، بيد أنني كنت في حالة لا يستطيع فيها الإنسان رؤية أي شيء البتة .

أمام الاسكندرية — ١٥ أكتوبر ١٩١١ :

ألقت السفينة مراسيها ظهر أمس في ميناء الاسكندرية وبقينا على رصيف الميناء انتظارا لاجراءات الحجر الصحى . فطبقا للتقارير الواردة من طرابلس فإن الفرق العسكرية الايطالية قد نزلت على الساحل واستمرت في التقدم وهى الآن تسيطر على الشريط الساحلى فقط . وفي الوقت نفسه فإن جيشنا اتخذ له مواقع بعيدة عن مدى المدفعية الايطالية . أما الكتيبتان التركيتان الموجودتان في ضواحى بنغازى فقد بقيتا هناك في مواقعهما . إن المسافة التي تفصل هذين الإقليمين عن مصر شاسعة جدًا فالمسافة من الاسكندرية إلى بنغازى حوالى ستمائة كيلومتر ، بينما المسافة من بنغازى إلى طرابلس تصل ألف كيلومتر . ويمكن أن تقطع هذه المسافة على الجمال من نوع الهجين السريعة التي تستطيع أن تقطع مائة كيلومترا في اليوم .

وطبقا للأخبار الواردة فإن معنويات الجنود والشعب ليست سيئة على الإطلاق ، كما أن الحاجة لم تكن ماسة إلى التجهيزات وإن كانت الضرورة إلى توفير الأطعمة تشعر بالحاجة إليها ولابد أن تنال هذه المسألة الاهتمام قبل أيّ شيء آخر. وبينما نحن في مصر اعطانا مواطن ستة آلاف جنيه ، وعندما كنت على متن السفينة ، قرأت فاوست Faust ، فوجدت به أفكارا نيرة ربما كانت صحيحة غير أنني لم أعرها انتباها ولم أستخدمها .(٦٣)

١٥ أكتوبر ١٩١١ :

نويت أن أغادر مصر في خلال يومين، وارتأيت أن أقوم بترتيب عمل اتصال بريدى منظم . فإنني الآن أتحرق شوقا إلى شم رائحة بارود البنادق وإلى سماع أزيز المدافع . إن ذلك هو السبيل الذى نستطيع أن نفكر في العودة به إلى طرابلس بدون خجل . إن الطقس هنا حار ، ومع ذلك فهو يعد جوا رائعا في هذه المنطقة . لقد ترك هذا الميناء بكل تجهيزاته في نفسي انطباعا حسنا . فوجودى فيه أعاد إلى خواطرى قصف الانجليز لهذه المدينة منذ

---

(٦٣) الفاوست Faust — كتاب من الأدب الألماني للكاتب الشهير غوطة يتألف من جزأين ظهر في القرن التاسع عشر.

خمسين سنة مضت . فما أشبه ظروف الاسكندرية بالأمس بطرابلس اليوم ، بيد أن هناك فرقا بين أتراك ذلك العهد وأتراك اليوم .

إن عارف باشا كان في انتظاري على رصيف الميناء وقد مرت نصف ساعة أخرى مملة قبل أن نخلص من إجراءات الجوازات وتفتيش العفش المملة ، فكل ما أبرزته للجوازات كان بطاقة شخصية . فأنا الآن أدعى الدكتور هـ . س . المتخرج من كلية لا أعرفها ولم أفصح عن هويتي لمرافقي إلا عند وصولي إلى الفندق . ويالها من مباغتة فهو الآخر كان يعتقد أنني دكتور في القانون أو في الطب غير أن الرؤية لم تلبث أن بدأت تتضح عنده . لقد أخبرني عارف باشا أنه حصل على خمسة عشر ألف جنيه تركي في مصر في وقت قصير وأنه لا أحد في مصر يخفي عواطفه تجاهنا . كما أخبرني أن أربعة آلاف فارس من الخيالة المصرية يقفون على أهبة الاستعداد ، غير أنه كان لا يعرف كيف يمكن إمدادهم بالمؤن أثناء الطريق وعند وصولهم إلى الميدان . كما أنني أدركت من تقاريره أن المرء لا ينبغي أن يعتمد كثيرا على هؤلاء الناس . غير أن ماسمعته لن يثنيني عن آرائي ، ومن ثم فإنني وضعت خطة للسفر على وجه السرعة للالتحاق بقواتنا . ومادامت توجد منابع ماء في الطريق ، وأنه يمكن قطع خمسين كيلومترا يوميا ، فإنني أتوخى أن أجتاز هذه المسافة على ظهر الهجين السريع في مدة أحد عشر يوما . فالجنود لديهم احتياطي كاف لمدة ثلاثين يوما فقط وإنني أتطلع إلى السيطرة على هذا الموقف الحرج حتى تتضح رؤية جديدة . كان ينبغي أن أهدئ من روعي لأنني كنت أمام موظف من العهد المباد في غاية المراوغة والخداع ، إذ أخذ يلتمس المعاذير الداعية إلى الأسف لأخفاء ضعفه . ورغم حنقي الشديد فلم أعره انتباهًا حتى لا أضيع وقتًا ولا أعقد الأمور . وعلى كل حال فإنني سأترك أحد رفاقي هنا كممثل عني .

إن الانجليز يدركون جيدا كيف يستفيدون من الظروف الراهنة التي نمر بها ، ولهذا فإنهم اغضوا النظر عن كل ما نريده من أسلحة وعتاد بطريقة غير رسمية بطبيعة الحال وذلك سعيا وراء كسب جانبنا .

٢١ أكتوبر ١٩١١ :

سأكون غدا على أهبة الاستعداد للرحيل ، وسأرتدى أثناء رحيل الملابس الجذابة المعهودة وهى تتألف من جلابية زرقاء طويلة فوقها برنوس أبيض وكوفية بيضاء مطعمة بالذهب ، وسأشد خصرى برباط مزركش . إن ذلك ما يلائم طلعة الشيخ العربي الجديد الذى لن يتعرض له بطبيعة الحال المرابطون . كما أن مشائخ السنوسية سوف يسمحون له بالمرور بدون إعاقة لمسيره .

الاسكندرية ٢٢ أكتوبر ١٩١١ :

غيرت اسمى مرة أخرى وأعيش الآن في حجرة صغيرة قذرة ينفث جوها روائح كريهة . في تلك الغرفة المظلمة كانت توجد بقايا شمعة محتضرة تومض بصعوبة بالغة . ومرة أخرى داهمتني خيبة الأمل بيد أنها لم تأت على .

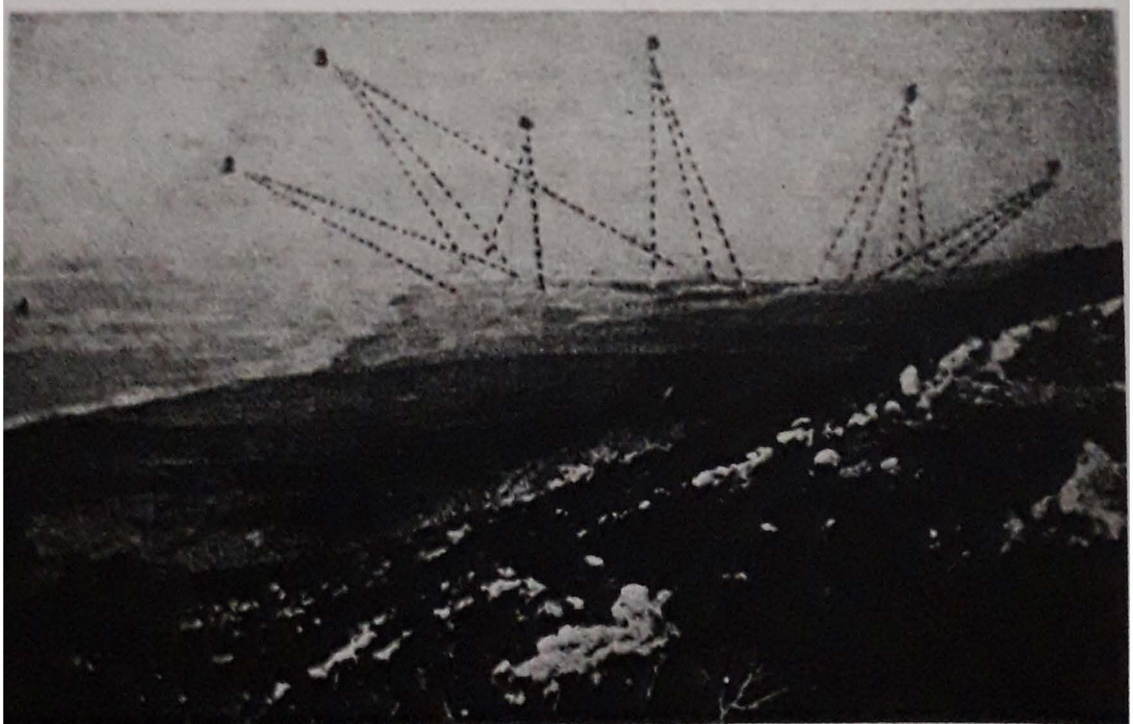
خرجت منذ قليل متجولا في ميدان محمد على وكانت الشمس ساطعة فأصابني الدوار ، وتبادر إلىّ شعور بأن رجال الشرطة كانوا يشكون بأنني ذلك التاجر السورى المسالم الذى تقمصت شخصيته ، وفي ذلك الشارع شاهدت تجمهرا من الناس بالقرب من مدخل مبنى عتيق فاتجهت إلى تلك الجمهرة فلم ألبث أن وجدت نفسي في وسط إحدى حانات الغناء التي طالما خشيت مجرد الدنو منها حتى عندما كنت في أوربا . وهنا بدأت فتاة انجليزية تافهة تعوزها الجاذبية ، تترنم بأغنية بصوت مبتذل مصحوب بإشارات وايماءات من يديها خالية من أى تعبير عن المشاعر ، كما أن قسمات وجهها العابس أضفت عليها مزيدا من الحزن والتعاسة ، فدبت بين جوانحى أحاسيس العطف عليها . ياهذه المخلوقة التي تسعى بهذا الأسلوب إلى الحصول على لقمة عيشها في صقع بعيد عن مسقط رأسها . ثم أعقبتها فتيات أخر كن أسوأ منها . كان هدفي أن أروح عن نفسي فتضايقت وتضاعفت تعاستي وأخيرا ألقيت نظرة على من حولى فوجدتهم يمثلون بحق متحفا بشريا للجنس العربي ، كان بينهم المراكشيون ببرانيسهم البيضاء ورؤوسهم المحلقة وشواربهم القصيرة ولحاهم السوداء المبتورة المدورة ووجوههم المعبرة عن الفخار ، فهؤلاء جميعا استرعوا انتباهى ، وفي الوسط كان يجلس بعض الأعراب ملتحفين في عباءاتهم حتى ليتعذر على المرء تمييزهم . وفي ناحية أخرى كان شيخ عربي مشدوها يتابع ما يجرى على خشبة المسرح بانتباه . لم تثر كل هذه المشاهد شغفي فإن ذهني لم يكن طليقا ، ولذا نهضت لتوى قاصدا غرفتي الصغيرة النتنة . وقد اتضح لى أن حياة الآخرين هنا تختلف عن حياتي اختلافا بينا فلم أتمكن من الهيمنة على خيبة أملى البعيدة الأغوار . فالخطر الذى يتهدد بلادى ثقلت وطأته علىّ ، فمن أين لى من يأخذ بيدى ، ويحقق لى العزاء والسلوى ؟ .

الأحد ١٤ أكتوبر ١٩١١ :

في الطريق :

انطلق قطارنا ببطء شديد عابرا بحر الرمال ، ياله من قطار ، إنني أحسّ بكل طرف في جسدى يرتعش . في هذا الصباح تناولت إفطارا وهو عبارة عن بلح لم ينضج بعد

ممجوج المذاق ، وقد أصبح على المرء أن يلزم نفسه بالتعود على مثل ذلك الطعام ، ولكي أبعد الشبهات عن نفسي فلا يتعرف عليّ أحد سافرت بالدرجة الثالثة . وفي هذه الدرجة كان حولي ركاب من البدو في جلاليبهم البيضاء وامرأة عربية بصحبة طفليها الصغيرين ورجل ألماني وآخر فرنسي كل أولئك المسافرين جميعًا رفاقي في تلك الرحلة . وعلى الرغم من أن نوافذ القطار كانت محكمة الغلق ، إلا أن الرمال الناعمة وجدت طريقها إلى داخل القطار فغطت وجوهنا وشعر رؤوسنا ومما دعا إلى الاشمئزاز أن امتلأت بها أفواهنا فما كان علينا إلا ابتلاعها . وفي أثناء الطريق كان عليّ أن أغير القطار ، ومن الصعوبة بمكان أن يستفسر المرء لماذا ؟ فبعد أن تركت القطار واصلت رحلتي في سيارة شحن وقبلت ذلك الاختيار السيئ بدون اعتراض أو جزع ، فالسيارة كانت معبأة حتى إنه كان من الصعب أن نتنفس. والمرأة العربية التي كانت بجانبي بدأت الحديث معي ولكني لحسن الحظ لم أفهمها. إن وجهها الكئيب القاتم كان مخضبًا ببقع زرقاء ، وجفون عيونها الحمراء المحاطة بالعتمة أكملت تلك الصورة الجمالية . وعندما أقبل الليل كانت سيارة الشحن تلك هي مهجعنا ، فتوقفت بنا في وسط الصحراء عند نهاية الخط الحديدى الواقع إلى الغرب بنحو خمسة كيلومترات من منطقة الضبعة . وفي اليوم التالى كانت قافلتنا على أهبة الاستعداد ، فهى



صورة للمواقع الاستراتيجية في درنة التقطت في الثامن من أغسطس ١٩١٢ .

١ ــ منظر للبحر .
٢ ــ مواقع ايطالية حصينة .
٣ ــ سفن حربية إيطالية .
٤ ــ محطة إرسال تلغرافية .
٥ ــ بساتين النخيل بدرنة .

تتألف من خمسة خيول عربية لى ولرفاقي وآخرين للعفش فهذا كل جيشي الآن . وبالقرب مني كان مساعدى ينفذ أول أوامرى التي أصدرتها إليه .

إن الأخبار من بنغازى كانت جيدة ، فسلسلة من المعارك قد جرت وكان العرب فيها إلى جانبنا باستمرار ، كما أن شيخ السنوسية الجليل الذى يمتد نفوذه إلى أواسط إفريقيا يبدو هو الآخر إلى جانبنا .

كنا في الصباح نحتسي الشاى في ظل بيت أحد مشائخ أولاد على ، ولكن ما إن بدأت العاشرة صباحا حتى بدأنا المسير محاذين الساحل وكان الجو يومها حارا . وأقبل الليل وأرخى سدوله وكان يبدو لنا من حين إلى آخر بصيص من ضوء فنتنفس الصعداء . وعلى هذا النحو استمر رحيلنا حتى الآن أربعا وعشرين ساعة ، منها أربع عشرة ساعة قضيناها يوم أمس سيرا على صهوات خيولنا ، أما الآن فقد أخذ يعم بيننا الهدوء أثناء سيرنا من أثر الأعياء .

زاوية دفنة :

كانت الأمور على مايرام وكنت سعيدا ، في السلوم رأيت الايطاليين للمرة الأولى . وقد أطلقوا أمس ستين عيارًا ناريا لم تصب أى هدف لها اللهم إلا أن يكونوا قد أصابوا بها إحدى حجرات مصرف روما الضخم البهيج . إن معنويات العرب ترتفع من يوم إلى آخر ، فوصول صهر الخليفة غير المتوقع أوجد لديهم انطباعا حسنا .(٦٤) أما بالنسبة للفرق العسكرية التركية فإنني شعرت بأن وجودى بينهم كان يعني شيئا بالنسبة لهم ، وأما عن عامة الناس فلم يكونوا بحاجة إلى إذكاء وإضرام الحماس فيما بينهم . فمنذ أيام قلائل اقتحم درنة مائة وعشرون جنديا تركيا وبعض من رجال الميليشيا العرب ، وقد خسروا أربعة وعشرين قتيلا في ذلك الهجوم . غير أن ذلك العدد من القتلى يعدُّ ثمنا رخيصا إذا ماقورن باستيلائهم على ثمانية عشر مدفعا إيطاليا وأسرهم كثيرا من الجند الأيطاليين .

٢٨ أكتوبر ١٩١١ :

منذ أن غادرنا مطروح لم تقع أبصارنا على أى منطقة مأهولة بالسكان ، فالهضبة الجدباء الواقعة على ارتفاع ثلاثين مترا فوق سطح البحر خالية تماما من كل شىء سوى بقع

---

(٦٤) يقصد هنا نفسه إذ كان خاطبا لبنت أخت السلطان المسماة ناجية .

رمادية متناثرة هنا وهناك ، وإلى جانب ذلك كانت توجد خيام بادية العرب الرثة . أما إلى شمالنا وخلفنا فلا شيء يوجد سوى أفق منطوٍ وراء الربا والأكمات وأما عن يميننا فالبحر الأزرق الفسيح المترامى الأطراف . واصلنا سيرنا تجاه الغرب حتى حلّ بنا الليل وهبَّ علينا نسيم بارد فأخذت أجسادنا ترتجف . كنا عادة نطوى خيامنا ونقلع قبل طلوع شمس كل يوم ، فالجمال ذات المشية المهيبة كانت تحمل أمتعتنا وذات مرة تجاوزتنا في السير فلم يلبث أن اندفع الأعراب ذوو البشرة القمحية وهم ملتحفون بأرديتهم الناصعة البياض ويحرون حول الجمال على نحو لولبي وكأنهم رقائق من الثلج المتطايرة . وكنا عادة نمتطى خيولنا الأمر الذى يجعلنا دومًا متقدمين عن قافلة الجمال ، وعندما ترتفع الشمس قليلا فإنها سرعان ما تلتهب وتصبح محرقة لاذعة . أما في وقت الظهيرة فإن الشمس تظل معلقة فوق رؤوسنا كالنار الموقدة ، وفي بعض الأحيان كناَّ نترجل عن ظهور خيولنا لنأخذ قسطا من الراحة لتناول الإفطار . وحتى هذه الآونة فإننا لم نشهد مطرا سوى مرة واحدة إذ هطلت بغزارة شديدة فأوقفتنا عن السير لأنه كان من العسير على الجمال أن تتقدم في خطاها . لقد كنا نتطلع إلى عبور الحدود التركية في هذا المساء إذ وصلنا الآن إلى آخر محطة للبريد .

زاوية المرصص في ٧ نوفمبر ١٩١١ :
خمسة عشر كيلومتر غربي طبرق :

تمكنت أمس من قطع مسافة ستين كيلومترا في مدة عشر ساعات على ظهر الهجين الذى ظل مهرولا حتى سبب لى متاعب وآلام . وعندما حل بنا الليل نمنا في خيمة أسرة عربية كانت ضاربة في واد سحيق بالقرب من البحر . وعلى الزغم من كل شيء فإن أسلوب حياة هذه الأسرة ممتع وشيّق ، وبينما كنت مستلقيا على ظهرى في الخيمة شاهدت القمر من خلال فجوات سطح الخيمة وهو يسير في مداره بتؤدة وسلام في تلك السماء الصافية . كنا أربعة في داخل الخيمة ، بينما كانت جمالنا جاثمة وكنا نسمعها من حين إلى آخر تجتر طعامها . وأثناء وجبة العشاء المتواضعة التي قدمت لنا اجتمع أهل تلك الخيمتين حول النار ، فالجد والجدة وابنتهم ومعهم خمسة أطفال جاءوا جميعهم من الخيمة المجاورة . وقبيل الغروب خرج ذلك الرجل الكهل ليؤدى صلاة المغرب في الهواء الطلق ، ولما لم يتوفر له الماء ليتوضأ به ، فإنه استعاض عنه بالتيمم ، فضرب التراب بيديه ثم مسح على وجهه ، ثم ضرب التراب مرة أخرى ومسح به ذراعيه حتى يغدو طاهرا فتصح صلاته . لقد بدا لى ظله وهو منتصب يصلى بجدة إزاء أفق السماء في وقت الغروب وظل كذلك ساجدًا ثم واقفا حتى أتم صلاته ، إنه أدى صلاة بخشوع تام . إن تلك الألفة والوئام التي استخلصتها من حياة



أنور باشا يمتطي ظهر الجمل

أولئك الناس البسطاء الذين يعيشون حياة الشظف والنقاء لم تلبث أن نفذت إشعاعاتها تلقائيًا إلى أغوار نفسي . فتلك الأسرة العربية كانت كلها تجلس حولي على حين أحد الأطفال يقتسمون شطائر من الحلوى التي أعطيتها لهم . إن كرم الضيافة عند أولئك البدو مقدس حقا . إنهم لا يضنّون بأى شيء بل يجودون بكل ما يملكون فقد أصرّوا مثلا على ذبح عنزة صغيرة كانوا قد استبقوها خصيصا لهذا الغرض من القطيع ، بيد أنني أقنعتهم بالعدول عن ذلك وبأن يعطونا بدلا منها بعضا من خبز الشعير الذى أخرج لتوه من فوق أحجار الموقد المتوهجة . ورغم أن طعم ذلك الخبز كان ممجوجًا غير مستساغ ، إلا أن المرء يستطيع أن يأكله وبخاصة بعد ضجرنا من أكل « البسكويت » الذى أفسد أسناننا وسبّب لنا اضطرابات معوية . وبعد هنيهة غلبنا النعاس ثم أخذنا نغط في سبات عميق بعد أن حلّ بنا تعب السفر وعناء ركوب الإبل . وقد اتضح لى أمس عندما قمت باستطلاع في طبرق أن الطليان قد عسكروا بكتيبتين هناك وأن ثلاثمائة جندى منهم شنوا هجوما خاطفا مستهدفين به قطع خط مواصلات « التلغراف » التركى ، ولما تصدى لهم جماعة صغيرة من العرب ولّوا الفرار وكانوا يجمعون قتلاهم وجرحاهم بصعوبة بالغة تحت وابل من رصاص العرب .

دفنة في نوفمبر ١٩١١ :

عدت أمس مساء بعد مسيرة ثلاث عشرة ساعة ، وقد أقسم مشائخ القبائل هنا الأيمان على مواصلة الحرب ضد الطليان حتى النهاية ، وفيما يتعلق بالإمدادات والمؤن فإنها كانت كافية لمدة سنة كاملة ، فضلا عن توفر الذخيرة بكميات كبيرة ويبدو أن الفرص لنيل الشهرة والأمجاد غدت بادية للعيان هنا .

زاوية أم الرزم في ١٦ نوفمبر ١٩١١ :
عشر كيلومترات إلى الشمال الغربي من البومبا :

في غرفتنا كان كل شيء معدا من أجل راحتنا عندما نخلد إلى السكينة ليلا كان السجاد ملقي على الأرض بمثابة أسرة ، ولذا كانت الأقدام تمسّ بعضها البعض . لقد كان معنا في تلك الغرفة حاكم درنة وضابط شرطتها الخ . . . . كانا مستلقيين بينما كنت جالسًا على الأريكة ، أريكة الشرف أدوّن ملاحظات أحداث ذلك اليوم . فمن السلوم إلى هنا سار كل شيء على مايرام . أما في اليوم الذى وصلنا فيه إلى درنة فقد أقسم كافة مشائخ ذلك الإقليم اليمين تحالفا معنا . هذا ويحتمل وصول ضابط برتبة لواء من أصل عربي سبق أن

بال سمعة واسعة في حملة اليمن (٦٥) لذا فإني أصدرت أمرا بتعيينه لمنصب قائد وحاكم لمنطقة طبرق . وتتألف قوات هذا الضابط من ألف وخمسمائة جندي نظامي من المشاة وثلاث قبائل عربية عسكرت لمسافة خمسة عشر كيلومترا جنوبي طبرق ، فضلا عن كل هذا قبائل عربية أخرى يمكن إحضارها في غضون يومين إذا مادعت الحاجة إلى ذلك . وهكذا غدا بحوزتنا ورهن تصرفنا حوالي عشرة آلاف متطوع . ومن الغريب أنه أصبح من البساطة أن أنصب الحكام ، بيد أنه لاغرو في ذلك مادمت صهر السلطان ومبعوث الخليفة الذى من شأنه أن يصدر الأوامر ويأخذ على عاتقه تأييد خطانا . ولقد أضفى على كوني صهرا للسلطان ميزة حسنة وأتاح لي فرصا مواتية ، فالعرب لا يعرفون أنور بك ، المدعو ببطل الاستقلال أو حتى أنور بك الرائد بالقيادة العامة ، غير أنهم أصبحوا يكنون الاحترام والاجلال لصهر الخليفة الذى يمثل سعادته هنا . وعليه فالعرب هم الذين أطلقوا على لقب أنور باشا ، لأنهم لم يستحسنوا أن يطلق على لقب « البك » البسيط ، وأنا صهر السلطان . فأنا الآن أشبه العربي في مظهره إلى حد كبير . فوجهي أصبح فحمي اللون بسبب أشعة الشمس اللاذعة ، وذقني أخذ شكلا مغايرا بعد أن أطلقت شعر لحيتي . أما الزى الذى كنت أرتديه فهو من الكاكي العادى غير أن ما يميزني عن المحيطين بي ذلك السيف الضالع ذو القيمة الكبيرة .

إن شعور المحبة والألفة الذى أبداه العرب نحوى كان بالغ الأثر في نفسي ، فعندما ذهبت إلى المرابطين ألحوا على تقبيل يدى . ولعل الله أن يمنحني المقدرة لأدافع عن هذا الشعب البائس المعروف بنقائه وولائه .

زاوية مرتوبة : ١٩ نوفمبر ١٩١١ :

كنت أمس على مقربة من درنة ، حينما كان العدو جاثما في مواقعه الدفاعية الحصينة التي كانت على مقربة مني . أما خارج نطاق المدينة فكانت السفن الحربية الايطالية تتهادى في البحر مشكلة طوقا حول درنة ، وكم كان العرب سعداء لرؤيتي ، ففي بداية الأمر كان الهلع يسيطر عليهم من جراء قذائف السفن الحربية ، إلا أن ذلك الخوف سرعان ما تبدد عندما أدركوا أن آلافًا من الطلقات التي صوبت نحوهم لم تسبب لهم أضرارا في المعدات والأرواح ولذا أخذوا يتجاهلونها ، وفي الوقت الذى وصلت فيه كان الايطاليون قد زحزحوا عن مواقعهم المتقدمة ولم يحاولوا بعد ذلك شن أية هجمات أخرى ، بل أخذوا

(٦٥) لعله كان يقصد بهذا الضابط أدهم باشا الحلبي أو موسى اليمني . انظر الأخضر العيساوي ص ٢٣

يوجسون خيفة من جماعات العرب التي تتراوح أعدادها ما بين عشرة ومائة مقاتل مغوار وقد تمكنت هذه الجماعات خلال أيام عشرة من تطويق الايطاليين والإغارة عليهم أثناء الليل .

زاوية مارة في الثالث والعشرين من نوفمبر ١٩١١ :
« عشرون كيلومترا غربي درنة »

وبينما كنت أدون ملاحظاتي في هذه الآونة ، كان مشائخ المرابطين والقبائل المحيطة بهم يعقدون اجتماعا عاما وقد تمكنت أمس من قطع مسافة سبعين كيلومترا في تسع ساعات على ظهر الهجين . وعند منتصف الليل وصلت إلى زاوية بشارة وكان برفقتي شبحان اثنان . وتعد هذه المنطقة التي عبرتها خطرة نظرا لأن القبائل القاطنة فيها يشتبه في تعاونها مع الايطاليين ، وقد زادني هذا الشعور بالخطر حذرا وحيطة . فعندما تراءت لي أشباح بيضاء من العرب وهم يصوبون بنادقهم نحوى بادرت إلى اجتذاب مسدسي ولكن عندما حييناهم ردوا على تحيتنا ببرود مشوب بالريبة والحذر ، وحالما تأكدوا من هويتي ألقوا ببنادقهم على الأرض وهرعوا لتقبيل يدى . وبينما كانوا يسيرون بحذاء جملي حدثوني عن أنهم كانوا يقاتلون الايطاليين منذ قليل ووصفوهم بالضعف والجبن .

وقد قمت مساء أمس بتفتيش وحدة عسكرية تركية تتألف من مائة وعشرين جنديا وعدد مماثل من المتطوعين العرب . وأنا الآن بصدد تشكيل جيش بدون أن يكون لي حرية التصرف في المال العربي . ولا ريب في أن ندرة المال سوف تجعل من أية محاولة للتنظيم أمرا غاية في الصعوبة ، وكل ما كان في خزانة الجيش يوم أمس هو بالضبط سبعة جنيهات فقط ، وقد استدنت فوق ذلك مبلغ عشرين جنيها من شيخ مصرى ، غير أن هذه الصعاب جعلتني أكثر تصميما ولن أسمح لها بأن تكون عائقا أمامى .

ولا يفوتني هنا أن أنوه بأن الأرض الفضاء رائعة حقا وجديرة بالوصف فالهضاب والسهول والأودية مكسوة بأحراج دائمة الأخضرار تفوح دائما بروائح زكية . وفي قاع هذه الأودية والأخاديد . يتلألأ بريق ماء الينابيع الرقراق على أشعة الشمس الساطعة ، ويبدو أن مجرى هذه الينابيع قصير ولكنها تنساب إلى مسافة أرحب تحت الأرض . وفي وسط الصخور الرمادية تتناثر خيام العرب التي يصعب على المرء رؤيتها إطلاقا ، وقد هرعت النساء لاستقبالنا بالزغاريد والتهليل ، تعبيرا عن الفرحة بمقدمنا لدى مرورنا هناك ، وكم تمنيت لو أنني تمكنت من الاحتفاظ بما يذكرني بتلك الروح التي غمرونا بها في ذلك المساء ، تصويرا أو تسجيلا وإرساله إلى أصدقائي .

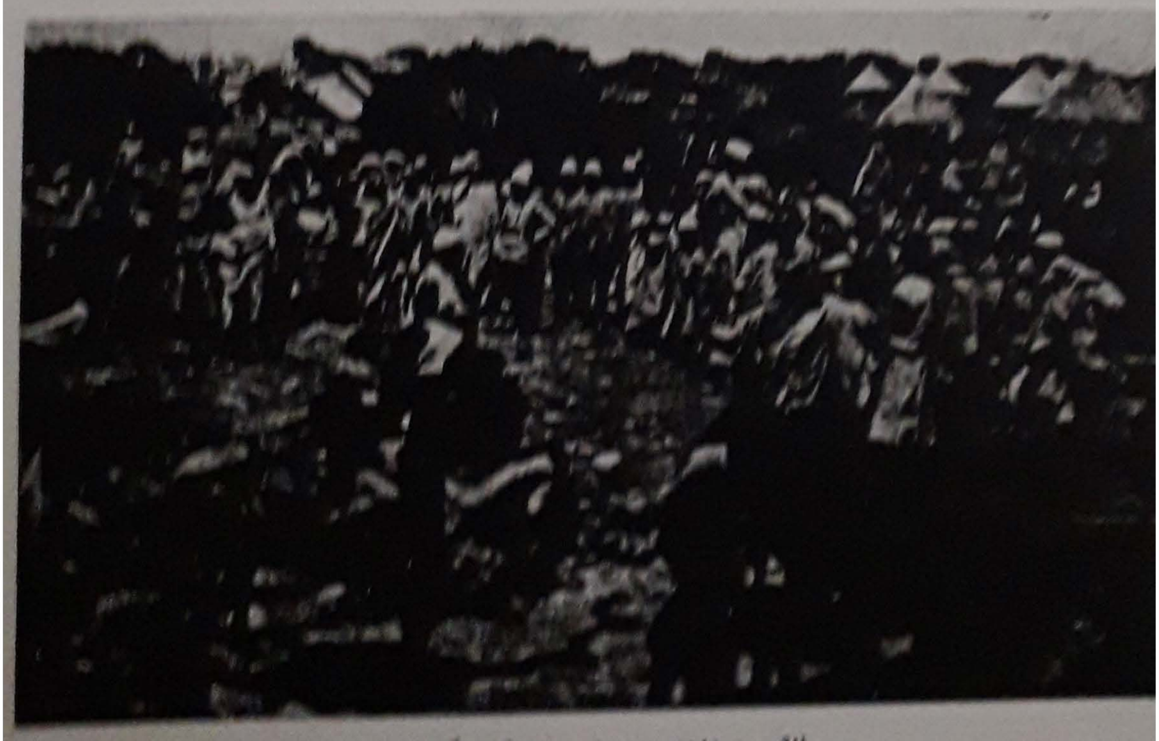
بئر الحبل في ٢٥ نوفمبر ١٩١١ :

جرت بعد ظهر أمس بعض المناوشات عندما حاول الايطاليون القيام بهجوم مستخدمين مدافع الميدان ، والمدافع الرشاشة واستمرت المعركة وقتا قصيرا ، وانتهت بانسحاب الايطاليين تاركين وراءهم عددا كبيرا من القتلى من بينهم ضابطان ، وكانت خسائر العرب طفيفة رغم قدم أسلحتهم .

أخذ المتطوعون يتوافدون عليّ من كل القبائل ، فيالهم من رفاق عظام ، كانوا طوال القامة نحاف البنية أقوياء العضلات ملتحفين بعباءاتهم فوق جلابيبهم البيضاء الفضفاضة المطرزة ، فلا يبدو من أجسادهم سوى وجوههم السمراء ذات التقاطيع الرائعة ، وعيونهم البراقة ، وأسنانهم البيضاء الناصعة ، وكان سلوك هؤلاء العرب ينمّ عن كرم خلق وعراقة لا تضاهى . إن نقاء وإخلاص رجال ذلك الجنس يدعو المرء إلى تقديرهم والاعتزاز بهم .

بئر الحبل في ٢٨ نوفمبر ١٩١١ :

قمت يوم أمس بجولة استطلاعية على صهوة جوادي على مقربة من مواقع الايطاليين في درنة ، ومررت بموقع المعركة التي جرت يوم أمس الأول ، فوجدت ساحة المعركة قد امتلأت بالجثث المتناثرة في كل مكان ، منها جثة عريف أسود اللحية كانت ملقاة بمفردها ،



رفاق من المحاربين يصلون المعسكر لتوهم .

وبالقرب منها كانت ترقد جثة إيطالي لا زال في ريعان شبابه أصيب بطلقة اخترقت جمجمته ، وعلى مقربة منه كانت أكوام من الجثث مكدسة فوق بعضها البعض . (٦٦)

ما الدواعي التي حدت بالايطاليين إلى الزجّ بهؤلاء الرجال إلى هذه المذبحة ؟ أمن أجل أن تملأ خزائن مصرف روما بالنفائس ؟ أو لكي يتيحوا فرصة لأصحاب المصارف ليكدسوا ملايين أخرى من المال . لقد زجُّوا بشباب بلادهم ليلقوا حتفهم من أجل الاعتداء على شعب آخر ، فيدوسوا بأقدامهم وباسم الانسانية والعزة الوطنية على سعادة ذلك الشعب البرئ . أما من جانبنا فسنواصل القتال تحت شعار الكرامة والعزة الوطنية لأننا ندافع عن أنفسنا ويجب أن ندافع عن أنفسنا .

لقد أعطاني عربي مجموعة صغيرة من المفكرات وكراسات الجيب وكتيبات عن استخدام المدفعية وغيرها ، ولما اطلعت عليها وجدتها مليئة بالرسائل العاطفية والحنان وكم كان ذلك محزنا .

إنني اليوم على أهبة الاستعداد لمواجهة هجوم إيطالي ولابد أن يظهر جيشي قوته وبسالته . إن هذا الجيش يشبه إلى حد كبير عصابة من الرجال المسلحين أو ربما يشبهون جنود الجمهورية الأولى ، وعليَّ أن أكرّس كل جهدي لإعداد هذا الجيش إعدادًا مختلفا عن الحالة التي عليها الجنود النظاميون . (٦٧)

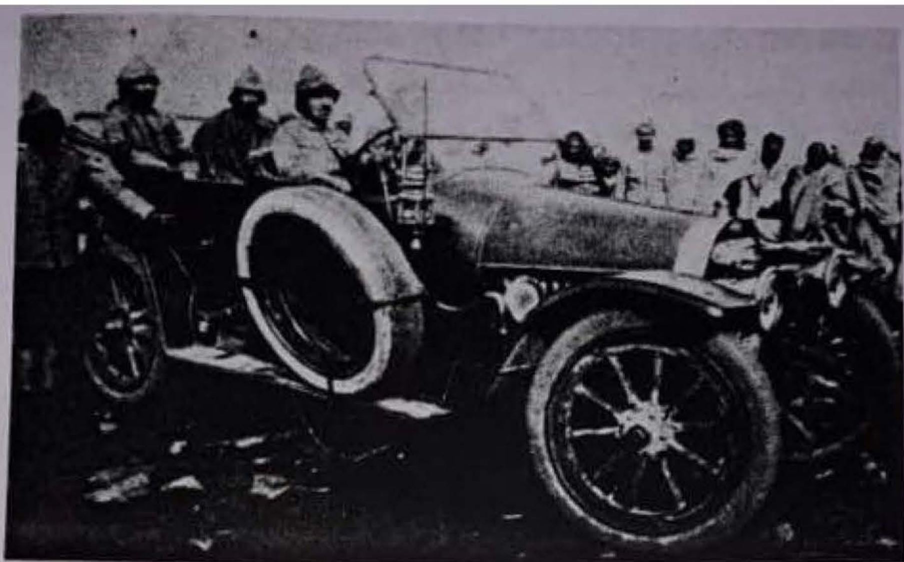
أخذت القبائل العربية بأسرها تبعث إليَّ بالمحاربين الذين بدأوا يفدون في جماعات صغيرة كل يحمل بندقية قديمة على كتفه وقد لف ذخيرته بمنتهى الحذر والحيطة ، كما كان كل واحد منهم مزودا بكيلو جرام من الدقيق . لقد كان كل عشرة محاربين مزودين بجمل يحمل خيمة لإيوائهم جميعا ، كما كانوا مصحوبين بامرأتين من قبيلتهم لتقوما بإعداد الطعام وغسل الثياب وتنظيف البنادق ، وكان أولئك النسوة يرافقنهم إلى ميدان المعركة لاثارة حماسهم وحمل جرحاهم وتضميد جراحهم كما كن يرثين الذين سقطوا في ساحات القتال . لقد كان من بين القادمين لتوهم رجال طاعنون في السن بلحيهم البيضاء وصبيان لم تتجاوز أعمارهم الخامسة عشرة . إن حداثة أعمارهم لم تقف عائقا دون مزاحمتهم الآخرين لتجرع كأس الردى بازدراء .

كان أولئك الرجال يعتقدون بأنه إذا مادنت ساعة المرء فإن مشيئة الله واقعة لامحالة وأن أحدا لا يمكنه الفرار من ذلك القدر . كان هناك مثل شائع بين هؤلاء القوم عند

---

(٦٦) إن المعركة وقعت يوم ٢٤ نوفبر سنة ١٩١١ بينما يتحدث أنور باشا هنا يوم ٢٨ نوفبر ولذا هناك عدم استقامة في التعبير عندما يقول أول أمس .

(٦٧) يعني جنود الجمهورية الفرنسية الأولى .



في معسكر عين أبي منصور

١ ـــ أنور باشا   ٢ ـــ مساعده الثاني الرائد عسكرى بي

مواجهة العدو مفاده « الشجاع يموت مرة واحدة والجبان يموت مائة مرة » .

كان لى تكتيك خاص وبسيط لهذا الجيش ، وهو أنني أعطى العدو فرصة للاقتراب مني بقدر الإمكان ثم أباغته بهجوم عنيف بالنيران المكثفة مركزا على القلب لتشتيت قواته . وعلى مسافة تتراوح مابين المائة ، والخمسين خطوة أشن هجوما على الجناح بواسطة القوات العربية الخفيفة الخاطفة ، الأمر الذى يثير الخوف والهلع بين صفوف العدو القابع في مواقعه المحصنة ليلا . أما في الوقت الحاضر فإن الضرورة تقتضي ليس فقط المحافظة على أرواح جنودى بل والاقتصاد في الذخيرة . إن المستقبل يبشر بأن تغييرا إيجابيا سوف يحدث ، أما في الوقت الحاضر فلقد تسلح جزء من جنودى العرب بالبنادق الايطالية التي غنموها من القتلى الايطاليين ، كما أن مخزون الذخيرة أخذ يزداد يوم ابعد آخر . لقد أبدى العرب براعة فائقة في فهم الأسلحة الحديثة واستخدامها وكان العرب الذين لم يتمكنوا بعد من الحصول على بنادق إيطالية ، يتحرقون شوقا لقتل الأعداء وأخذ بنادقهم .

عين بومنصور في الأول من ديسمبر ١٩١١ :

لقد حاولت ليلة أمس مهاجمة مدينة درنة من ناحيتين ، إلا أنه لسوء الحظ ، ولانعدام الروح الانضباطية اللازمة في مثل ذلك الهجوم الليلي لم يتحقق لي النجاح فيه وأصبت بجرح من إحدى الشظايا ، وكان من المتوقع أن يكون ذلك الجرح بليغاً ، غير أن مشيئة الله قضت باللطف فيه .

عين بومنصور في السابع من ديسمبر ١٩١١ :

لقد وصل يوم أمس أول فوج يحمل الامدادات الطبية ، فشكرا لله على ذلك إذ لم يكن عندي أي شيء من هذا القبيل للجرحى والمرضى من جنودي . إنني أبدو محظوظا إذ أن الموقف بدأ يتحسن يوما تلو الآخر .

عين بومنصور في الخامس عشر من ديسمبر ١٩١١ :

إن قواتي تعسكر فوق هضبة تتشعب منها أودية قصيرة ضيقة ، فمن الجانب الشرقي يحدها واد ضيق منحدر الجانبين وفي قاع هذا الوادي تجرى مياه عين بومنصور التي تحفها أشجار دائمة الاخضرار ، شاقة طريقها إلى البحر . وعلى الجانبين المنحدرين من الوادي يمكن للمرء أن يرى مداخل الكهوف التي تستخدمها قبائل المنطقة للاختباء . وهناك أيضا واد آخر جاف تماما من المياه يحد الهضبة من الناحية الغربية .

وترتفع تلك الهضبة عن مستوى مدينة درنة بما يقارب الثلاثمائة متر ومن حين إلى آخر تبدو صخور صلدة ناتئة في الوسط شاهقة الارتفاع تحفها أشجار برية ذات أشواك كثيفة وبين منحدرات الجبال توجد بعض المعدات التي أحضرت لإنشاء خط سكة حديدية يبدو أنها وضعت في العام الماضي .

وفي وسط معسكرنا تنتصب خيام جنودنا البيضاء في صفوف منتظمة على حين أقيمت خيام الجنود العرب القاتمة السواد والشهباء الألوان بغير انتظام مبعثرة في أرجاء المنطقة مخبأة بحذر بين الصخور والأحراج ، أما خيام الهلال الأحمر فتقع بعيدا خلف التل ، ومنذ أربعة أيام مضت أصبحت لي خيمتي الخاصة التي تبدو لي كالقصر ، فقد خصص لي خيمتان من صنع مصري ، إحداهما للنوم والأخرى للاستقبال ، وقد فرشت أرض هذه بنطعين للجلوس فوقها أحدهما لكبش أبيض ، أما أثاث حجرة النوم فقد كان

أكثر أناقة وكان يتكون من سرير بسهل حمله وحقيبة ملابس تركية صغيرة الحجم مصنوعة من الجلد وحوض حجري للغسيل ، كان هذا هو أثاث خيمتي .

عين بومنصور في الثامن عشر من ديسمبر ١٩١١ :

وقع يوم أمس الأول اشتباك عنيف ، فقد حاول الإيطاليون شق طريقهم إلى مواقعنا بعدة كتائب تحت نيران المدافع الرشاشة والمدافع ذات المدى البعيد وقد تمكنوا من الاقتراب حتى مائة متر من مواقعنا . كان ميزان المعركة يتأرجح لمدة تسع ساعات بيننا وبينهم ، يميل لصالحنا تارة ولصالحهم أخرى . وقد زج الإيطاليون ، أكثر من مرة بقواتهم الاحتياطية التي أعدوها لهذا الهجوم . وأخيرا اضطر العدو إلى الانسحاب بشكل مفاجئ وسريع وكأنهم وحوش فارة .

ملأ ذلك الانتصار الباهر نفوسنا فخرا واعتزازا ولا غرو فقد استطعنا أن نهزم عدوا يفوقنا من الناحية العددية كما استطعنا بأسلحتنا التي جمعناها من كل حدب وصوب أن نحقق انتصارا على أحدث الأسلحة بما فيها المدافع الرشاشة والمدافع الجبلية . (٦٨)

لقد كان من بين جرحانا سيدة عربية تعد من الأبطال ، إذ أنها قد أصيبت بشظية في صدرها ورغم هذا فقد رفضت البقاء في المستشفى وغادرته لكي تشارك في إذكاء حماس المحاربين .

عين بومنصور في الرابع والعشرين من ديسمبر ١٩١١ :

لقد اجتاحت معسكرنا عاصفة هوجاء مصحوبة بأمطار شديدة استمرت حوالي ثماني ساعات متواصلة ، إذ كنت أسمع طوال الليل هطول الأمطار على أروقة الخيمة وأزيز العاصفة التي صاحبت سقوط الأمطار بالإضافة إلى أصوات العرب التي ارتفعت عندما كانوا يحاولون تثبيت خيامهم التي عصفت بها الرياح .

لقد شهد الموقف العام تحسنا ملحوظا منذ وصولي وأصبح في استطاعتي الاعتماد على قواتي في بنغازي التي تركتها تحت قيادة عزيز بك الذي يشغل رتبة لواء في الأركان العامة وقد

---

(٦٨) وفي هذا اليوم الموافق ١٦ ديسمبر ١٩١١ كتب أنور باشا رسالة إلى والدته في ورقة وجدها في جيب ضابط إيطالي وقع صريعا في نفس اليوم ذاكرا لأمه أن تحتفظ بهذه الرسالة للذكرى . انظر الملحق الخامس نسخة من ترجمة الرسالة طبق الأصل .



شيخ عائد من المعركة .

كان الرائد عبد القادر هو القائد لمنطقة جنوب درنة . وهذان الرجلان أصلا من اليمن ويمكن الاعتماد عليهما. (٦٩) كذلك توفّر لدى الآن المال اللازم ، إذ أن الحكومة قد خصصت لى مبلغ ٢٥ ألف جنيه تركى شهريا وهو مبلغ يعد كافيا جدا في الوقت الحاضر . إن أعداد العرب الذين تجمعوا من طبرق ودرنة وبنغازى قد ارتفع الآن إلى أكثر من ستة عشر ألف رجل في حين كان ذلك العدد عند وصولى لا يتجاوز التسعمائة رجل . كما أنني اتطلع في القريب العاجل إلى أن يكون لى خط تلغرافي بين السلوم وطرابلس . كما أنني أيضا على وشك أن أشق بعض الطرق ولذا فإنني آمل أن أغير في غضون شهرين اعتمادى على الجمال البطيئة

---

(٦٩) من المعروف أن عزيز على كان مصريا ولكن ربما قصد انور باشا هنا أن هذين الضابطين من اليمن لأنه سبق لهما وأن كانا يعملان في إقليم اليمن قبيل الغزو الايطالى لإقليم طرابلس الغرب .

كوسيلة اتصال بعربات آليه لنقل المؤن والذخائر كما أن هناك بعض السيارات في طريقها إلينا ولذا فإنه ينبغي تسليح كافة السكان في هذه المنطقة . ومنذ فترة قليلة وصلت إلينا أول شحنة من الأسلحة والذخائر تتكون من ألف بندقية موزر من أحدث الأنواع وخمسمائة طلقة لكل رجل ، كما وصلت إلينا وحدة كاملة من المدافع الرشاشة تتألف من أربعة مدافع بالإضافة إلى مدفعين بعيدى المدى بالأضافة إلى عدد من القذائف اليدوية ومعدات أخرى كثيرة والأفضل من كل ذلك رفاقي العرب الصامدون بعزيمة وإصرار .

ومن أجل مواصلة الحرب لسنين طويلة ، فقد قمت بتدريب الشباب القادرين من بين شباب العرب لأسند إليهم بعض المهام القيادية من الدرجة الثانية إذ أن ذلك سيمكنني عند القيام بأى هجوم من أن أسند إليهم مهمة تعزيز القيادة في الوقت العسير وفي الجبهات المستعصية التي قد تحتاج إلى عسكرى مدرب يمتلك المقدرة على اتخاذ القرار المناسب .

عين بومنصور في التاسع من يناير ١٩١٢ :

على الرغم من كل الصعاب التي تظهر من وقت لآخر دون أن تكون في الحسبان تبدو الأوضاع في طريقها إلى التحسن والانتظام . إن جيشي الآن آخذ في الانتظام والنمو المطرد إذ لدينا الآن قافلة من عشرة آلاف بعير تعمل على نقل المواد والذخائر للجنود . أما جنود المليشيا العربية فإنهم يقومون بسد احتياجاتهم من الطعام بأنفسهم إلا أنني أدفع لكل فرد منهم قرشين يوميا وهى كافية لسد حاجاتهم .

إن المتطوعين من كل قبيلة أصبحوا الآن تحت قيادة ضابط . وقد كان أملى أن أتمكن في وقت وجيز من أن أشكل مجموعة من صفوة هؤلاء الرجال القادرين لتكون اللبنة الأولى لجيش عربي نظامى .

وفي خيمة عربية تقع على مقربة من خيام القيادة ، ولد طفل أثناء القصف المدوى لمدافع الايطاليين . لقد كنت أصحو من النوم كل صباح على صراخ هذا الطفل الذى جعلني أفكر مليا في مستقبل الجيل الجديد الذى أرجو أن يترعرع في كنف الحرية . لقد أطلقت والدة ذلك الطفل عليه اسم أنور المنصور تيمنا بالنصر الذى نأمل من الله أن يتحقق .

إنني على يقين لاشائبة للشك فيه بأن النصر سيكون حليفنا مهما طالت الحرب إذ أن الجنود الايطاليين جبناء ولا توجد عندهم أية دوافع للقتال ورغم هذا فإن لى تقديرا خاصا لضباطهم الذين يضحون بأنفسهم تحت هذه الظروف غير المواتية . لقد كان عدم الإصرار والحسم بين قوات العدو واضحا وجليًا في المعركة الأخيرة إذ من الصعب على المرء أن يستنتج

لأن هذا الجيش قيادة موحدة فقد استدعيت القوات الاحتياطية للموقع ولمواقع أخرى بها كان الجنود لا يؤمنون بالحرب ولم يكرسوا جهدهم لها ، الأمر الذى مكننا أخيرا من أن نرغم العدو على التقهقر إلى مواقعه المحاطة بالأسلاك الشائكة . لقد ترك العدو اثنين من المدافع الرشاشة . وستمائة ألف من القذائف الحية ، ومائتين وخمسين من البنادق ، وخمسة وعشرين صندوقا من القنابل اليدوية ، ومدفعين جبليين وعشرة بغال ، والتي سوف يمكننا استخدامها في جرّ مدافعنا الرشاشة .

عين بومنصور في الثالث عشر من يناير ١٩١٢ :

إن الفرح والغبطة اللتين لاحدود لهما يملآن الآن أرجاء المعسكر ، ففي كل مكان منه تسمع أصوات الأغاني العربية ذات الترانيم الفريدة المصحوبة بتصفيق أيديهم في إيقاع جميل في الوقت الذى وقف فيه شاعر بدوى يمجد بسالة العرب ويندد بجبن ورعونة الايطاليين الذين لن يتمكنوا من قهر أرض الأجداد . كذلك كانت الفتيات يمجدن في أغانيهن الأعمال البطولية لشهيد وقع في ميدان المعركة . كان الحماس يزداد يومًا بعد آخر وأصبح الجنود يعبرون عن هذا الشعور بإطلاق النيران في الهواء مصحوبة بأصوات الغناء .

وكنت في وسط هذا الضجيج جالسا أعدّ بعض العمليات الحسابية ، ففي خلال ثلاثة أشهر قمت بصرف مبلغ خمسة عشر ألفا من الجنيهات التركية على الجيش الذى وصل تعداده الآن إلى عشرين ألف مقاتل بالإضافة إلى الموظفين المدنيين ، بينما يدفع الايطاليون مبلغ عشرين ألف جنيه لتزويد أسطولهم الحربي بالفحم أسبوعيا فقط . إن الحكومة التركية كانت تصرف في أيام السلم أكثر من هذا المبلغ بكثير للمدنيين والشرطة في هذه البلاد .

عين بومنصور في السابع والعشرين من يناير ١٩١٢ :

أصبحت الآن في وضع يمكنني من استقبال الأصدقاء وحماية سلامتهم وأمنهم تحت كل الظروف إذ أن جهاز حكومتي المدنيّة يباشر أعماله بشكل أفضل كل يوم في الوقت الذى سيرفع فيه العرب للسلطات كل الأمور التي يستعصي حلها عليهم وهو ما لم يحدث حتى الآن . إن الحكومة التي شكلتها تعد في وضع قوى ومستقر حتى إنه أصبح بإمكانها إصدار أحكام بالإعدام دون خوف من أى رد فعل لذلك . ويمكن القول بأني ومساعدى استطعنا الحصول على هذه السلطات من خلال تفانينا في خدمة المواطنين ومعاملتنا العادلة لهم . ومن أجل توفير الحاجيات الضرورية للأهالى وربط المنطقة بالبحر أنشأنا بعض الأسواق ودبرنا

المال اللازم لذلك حتى نضمن ألا ينقطع تماما تصدير المواد الخام خاصة وأن هنالك عملاء عاملين في هذا المجال ، ويملكون المال الكافي للاحتفاظ بأسعار عالية لها ، كما أنني شخصيا امتلك الكثير من العملات الورقية التي طبعت من أجل معالجة الموقف عند انعدام السيولة .
إن العملة الورقية التي كتبت عليها قيمتها باللغتين العربية والتركية معا لا تحمل أى شيء سوى خاتمي الشخصي وإنني لجد فخور بأن العرب قد اعترفوا بهذه العملة الورقية كما لو كانت تعادل قيمتها من الذهب والفضة .

لقد اكتشفنا طريقين رومانيين قديمين يمتدان من الحدود المصرية — عبر طرابلس — إلى الحدود التونسية ويبلغ عرض الواحد منهما عشرين مترا ويسيران بمحاذاة الساحل ويصلحان للسفر بالسيارات . يقع أولهما على بعد نيف وخمسين كيلومترا من البحر . أما الثاني فيقع على مسافة أبعد في الداخل مارًّا . بواحات جالو والجغبوب وسيوة ويستمر من المنيا حتى ضفاف النيل ، ويوجد على هذا الطريق ينابيع للمياه بمعدل ينبوع بعد كل خمسة وعشرين كيلومترا كما توجد علامات على طول هذا الطريق في شكل أعمدة يمكن للمسافر مشاهدتها ليلا إذا كانت الرؤية واضحة .

وقد أعددت خطة لربط قيادات جيشي وحكومتي وبعض المواقع الاستراتيجية الهامة بهذين الطريقين القديمين .

كان قوام السرية الأولى للحراسة مائة من العرب المتطوعين من أبناء شيوخ القبائل ذوى الشأن وأقاربهم وقد تم تكوينها وتسليحها بمسدسات من ماركة الموزر وأسندت قيادتها إلى ضباط ينتمون إلى حركة « تركيا الفتاة » .

وصل مؤخرا ثلاثة آلاف من محاربي قبيلة البراعصة ، بينهم خمسمائة مقاتل يمتطون صهوات جيادهم وقد استقبلهم جيشنا استقبالا عظيما وحارا وكم كان ذلك المشهد مؤثرا بحق . فقد تقدم ركب المقاتلين عدد من النسوة العربيات يترنمن بالأغاني الحماسية الشجية ، وأعقبهن زوجات الشيوخ والحسناوات من الفتيات من شتى القبائل على ظهور الجمال بينما أخذ المقاتلون الفرسان يتسابقون بخيلاء خلف هذا الركب المهيب وأخذ الشيوخ يتوافدون واحدا بعد الآخر لتقبيل يدى .

عين بومنصور في ٣١ يناير ١٩١٢ :

لقد تسلمت اليوم رسالة ودية من شيخ السنوسية الجليل الذى اتخذ من واحة الكفرة الواقعة في منتصف الصحراء مقرا له ، لقد حوت رسالته كثيرا من عبارات الإطراء لشخصي كما دعا فيها كافة المسلمين إلى الجهاد ضد الايطاليين . وفي الحقيقة فقد أراد أن يأتي بنفسه

ليشارك معنا في المعركة جنبا إلى جنب . وعندما سرى خبر وصول هذه الرسالة بين العرب في معسكرنا ، بادروا بإطلاق النار مهللين فرحا وغبطة إذ أن للشيخ مكانة كبيرة مرموقة بين ما يقارب العشرين مليون نسمة من سكان شمالي أفريقيا ووسطها .

لقد شفعت ردى على رسالة الشيخ الجليل بالهدايا التالية : جملين محملين بالحرير ، وأربعة جمال محملة بالكتان الأبيض وأربعين كيلو جراما من الشاى ومائتي كيلو جراما من السكر وحمولة عشرين بعيرا من الأرز وثلاثين أخرى من الحبوب ، كما بعثت إليه بغلا عظيما وعددا من المسدسات والذخائر .

لقد حدث اليوم وقبل حلول الليل اشتباك خفيف بين دورياتنا ودوريات العدو ورغم صغر حجم ذلك الاشتباك فقد أرغم مدفعية الميدان في القلعة الايطالية على الاشتراك فيه ، وقد استغللتُ هذه المناسبة لكى اختبر قدرة جنودى على التأهب والاستعداد فقد أطلق أحد الضباط « صفارة الإنذار » ، وماهى إلا عشرون دقيقة حتى تجمع كل المقاتلين من مختلف القبائل ومرت من أمامى في انتظام ودقة رائعين . كما أن سرية الحراسة الحديثة التشكيل وقائدها الضابط الفتي قد أدخلت في نفسي بهجة خاصة بما تحلت به من نظام ودقة مما عزز عندى الأمل في أن أشكل منها لواء قويا في وقت وجيز ، إذ أن هذه البداية كانت تبشر بالخير العميم كما أن تمرين التصويب الذى أجرى بالأمس قد أسفر هو الآخر عن نتائج ممتازة . فعلى بعد ثلاثمائة متر كانت هنالك دائما خمس إصابات دقيقة للهدف من كل خمس طلقات ، (٧٠) وبطبيعة الحال لابد للمرء أن يأخذ في الاعتبار ما جبل عليه هؤلاء القوم الذين مازلوا على سليقتهم وهو أمر تخفه كثير من الصعاب ، وعلى سبيل المثال فقد أصرَّ أحد هؤلاء الفتيان العرب وبكل الطرق على أن يأتي إلى خيمتي لكى يتحدث معى شخصيا وقد كان يريد مني أن أشرح له أمثل الطرق لاستخدام ذخيرته القديمة في بندقيته « الموزر » الحديثة وقد حل هذا الأمر أخيرا بأن أعطى ذخيرة تناسب وبندقيته القديمة فخرج جذلا مسرورًا .

عندما كنت أقوم أمس بتفتيش فرقة الهلال الأحمر ومفرزة أخرى أبلت بلاء حسنا في الموقعة الأخيرة ، استغل العرب ظهورى بين القوات وأخذوا يهللون ويصيحون بين ضرب الدفوف وزغاريد وأغاني النساء وقد بدأوا ينشدون أغاني الحرب وحتى عندما غادرهم ركبي كانت تهليلاتهم وهتافاتهم تلاحق مسامعى قائلة : « عاش السلطان » و « يارب امنح سلطاننا وقائدنا العظيم أنور باشا النصر » .

---

(٧٠) كان أنور باشا بارعا في التصويب على الأهداف . ومن الطريف عنه أن ذكر لنا محمد الأسطى ، المترجم بدار المحفوظات بطرابلس أنه شاهد ذات مرة أنور باشا وهو يصوب على لوحة للأهداف بمسدسه فنحت اسمه أي أنور بطلقات نارية على تلك اللوحة من على مسافة معقولة .

عين بومنصور في التاسع عشر من فبراير ١٩١٢ :

أرى من الواجب أن أسجل بعض التفاصيل عن الحياة في معسكرنا ، وأنه لمن حسن الطالع أن يكون لدينا فائض من الماء ، ففي وسط معسكرنا يجرى ينبوعان غزيران أحدهما — كما سبق وأن ذكرت — عين بومنصور وهو يرمز للنصر والظفر وقد سمى معسكرنا باسمه . أما عن مخزوننا من المؤن فقد تجاوز حد الكفاية إلى البذخ ويكفي أن أشير في ذلك إلى ما يتوفر لدينا من الجبن الهولندية والأناناس ، والأهم من كل ذلك أنه في حوزتنا الآن خمس فرق طبية استطاعت اتخاذ جميع الخطوات اللازمة لضمان معالجة مثل هذا المعسكر الكبير . لقد كان الواحد منا لا يستطيع مجرد التحدث عن علاج دقيق وفعال للجرحى وكنا نقتصر في تضميد الجروح على قماش الكتان الذى كنت قداشتريته . أما الآن — ولله الحمد — فقد أصبح متوفرا لدينا أطباء عسكريون ووحدات من الهلال الأحمر وثلاث وحدات من مصر ووحدتين من اسطنبول وأخرى من سالونيك تتراوح سعة كل منها مابين مائتين وثلاثمائة سرير . إن نشأة العرب القاسية وتكوينهم الصحى المعافى قد سهل من مهمة الأطباء حتى إن يومين من الراحة بعد الاشتراك في المعركة كانا كافيين لتضميد جراح المصابين .

إن قوتنا في ازدياد مطرد دون أن يكلفنا ذلك شيئا يذكر . فقد رصدت مبلغ خمسة وعشرين ألف جنيه تركى شهريا للجيش والاداريين المدنيين في بنغازى كما أنه في الأيام القليلة القادمة سيكون لدينا اعتماد مالى مضمون في حدود الخمسة وسبعين ألفا من الجنيهات التركية ومخزون من الأطعمة يكفينا لمدة عامين .

كان الطقس هو الشئ الوحيد الذى يعكر علينا صفو الحياة هنا . فقد انخفضت درجة الحرارة اليوم إلى خمس درجات مئوية فوق الصفر . مما جعلنا نرتعش في خيامنا من شدة البرد رغم أننا في أفريقيا . لقد غادرنا بعض الضباط أمس إلى اسطنبول في إجازاتهم وهناك سيكون بامكانهم شرح الموقف بكل وضوح وصراحة . إن الايطاليين من الناحية العددية يعتبرون أفضل منا ورغم أن لديهم حوالى المائة وثلاثين ألف جنديا في طرابلس وبنغازى فإنهم لا يزالون متخوفين من احتلال المناطق الداخلية من البلاد . لقد استطعنا صّد العدو ومحاصرته في مواقعه لمدة أربعة أشهر ، كما أننا بتعزيزنا اليومى لرجالنا وعتادنا جعلنا نزيد من قوتنا للمقاومة ولا نفكر إطلاقا في الحل السلمى لهذه الحرب .

أمام درنة في السابع والعشرين من فبراير ١٩١٢ :

إنني أشعر بإرهاق شديد نتيجة للاجهاد الذى تعرضت له طيلة الأيام القليلة الماضية ، فلقد كانت كل دقيقة منها مليئة بالعمل المضني بكل أشكاله وأنماطه . إذ بجانب

إدارتي للعمليات العسكرية ، التي تستوجب إصدار الأوامر باستمرار والسرعة في اتخاذ القرارات ، كان هنالك أيضا قرارات أخرى تتعلق بمسائل الإدارة المدنية ، فالتشريع والفصل في الدعاوى القضائية وكل ما يخص الاقتصاد والتجارة تقع مسئولياته على عاتقي . وهذه المسائل الهامة هي التي تسبب الكثير من الصعاب والمشاكل رغم اقتناعي التام بأن تحسنا تدريجيا طرأ عليها . إن موضوع الاحتياطي قد تم تدبيره بدقة ، وليس لى أن اشغل نفسي بالتفاصيل إذ أن الإمدادات تحت تصرفي وبشكل متوفر. غير أن بعض المسائل السياسية تقلقني وتثير مخاوفي أكثر من قلقي عند الدخول في أى معركة حربية دامية . قد يستطيع المرء بالحكمة والدهاء أن ينجز مالا يمكن إنجازه بالشجاعة والإخلاص وحدهما . إن تفكيرى الآن أخذ ينصب فيما يجرى على الحدود المصرية بدلا من الاهتمام بما يجرى على الجبهة الايطالية . فالانجليز بدأوا يثيرون غضبي . كما أن الصحافة الأوربية لم تذكر سوى النزر القليل عن الهزائم الايطالية ، ولا أدرى كيف حصل كل هذا ، فالحكومة الايطالية لم تكف عن الاستفسار من خلال السفارة الألمانية في كل لحظة حول ما إذا كان هذا النبيل أو ذاك الضابط أو القائد أو النقيب لا يزال على قيد الحياة سجينا عندى أم لا عقب فقدانهم في هذه المعركة أو تلك . أعرف أن الايطاليين اعتمدوا مبلغًا كبيرا ثمنًا لرأسي إلا أنهم لن ينالوه رخيصًا . فإن كانوا قد اعتمدوا مبلغا كبيرا لمقتلى فإن الجهاز الذى أديره الآن قد أصبح يباشر مهامه بنفسه بثقة حتى إن وجودى لم يعد الآن شرطا ضروريا فعندى الآن وفي كل موقع ضباط شبان أكفاء . كما أن سرية الحراسة قد كرست كل قدراتها من أجل حمايتي ولا يمكن لأى شخص مهما كان أن يقترب مني دون علمهم كما أني على ثقة بأن الله سبحانه وتعالى سيشد من أزرنا أكثر .

معسكر جنوب درنة : في الخامس من مارس ١٩١٢ :

نحمد الله تعالى على نتائج معركة أمس إذ كانت مشجعة جدًا خلافا لما كنا نتوقع . إذ فقد العدو نقيبين وبضعة ملازمين وأكثر من مائة بندقية وعددا من صناديق الذخائر كما غنمنا مسدسات ومعدات حتى أصبح العرب لا يلتقطون أى شيء يعثرون عليه في أرض المعركة . ولم تقتصر إمدادات العدو لنا على السلاح بل تعدت ذلك إلى المال . فقد عثرنا على مال وفير في جيوب اثنين من الضباط القتلى غير أني أمرت بإرسالها مباشرة إلى أسرهم هذه المرة لأنني غير متأكد مما إذا كانت وزارة الحربية الايطالية بعثت حقًا بمايصلها من المال لأسر القتلى وذويهم .

لقد تم إخطارى بواسطة الحكومة التركية بأن الايطاليين يرغبون في وقف إطلاق النار

لمدة أسبوعين غير أنني رفضت هذا الطلب من جانبي لأنه سيعطى الايطاليين فرصة للتسلل بقصف الشواطىء التركية . إننا الآن أصبحنا مرتبطين برقيًا بمصر وتونس .

في الثاني من مارس خضنا معركة ضارية ومتواصلة على مدى تسع ساعات على مشارف مواقع العدو الذى ألقى في المعركة بست كتائب وثلاثة مدافع ميدان ورغم ذلك تراجع من مواقعه المتقدمة إلى مواقعه الرئيسية المحصنة . ومن حسن الصدف أن ألمانيين من الضباط الشباب يرافقهما رجل انجليزى كانوا قد وصلوا أمس إلى معسكرنا وكانوا شهود عيان على هروب العدو مذعورا . ولقد كان سلوك الضباط الايطاليين في هذه المعركة يستحق الإطراء والمدح إذ كانوا يحثون جنودهم على القتال ملوحين لهم بالسيوف حتى إن المرء يمكنه رؤية لمعان السيوف من مسافة بعيدة وقد بذلوا كل مافي وسعهم لكى يوقفوا أولئك المتقهقرين على أعقابهم ولكنهم هم أنفسهم انجرفوا وسط هذه الفوضى المحمومة .

لقد تطورت المعركة في الواقع خلافا لما كنت أرجوه إذ أن وحدة صغيرة من قواتنا واجهت عند الفجر سريتين للعدو كانتا قد عززتا خلال الاشتباك مما اضطرنا إلى أن ندخل ميدان المعركة أيضًا بقوات تم جمعها على عجل . كما أن الايطاليين اضطروا إلى استخدام كل احتياطيهم من القوات وقد استطاع مدفعنا ذو المدى البعيد أن يحدث ثغرات كبيرة في صفوف العدو وأن يسكت من حين إلى آخر نيران مدفعية ميدانهم . لقد قاتلت سرية الحراسة الفتية بضراوة وبسالة فائقتين .

عين بومنصور (معسكر جنوب درنة)
الخميس ، الرابع عشر من مارس ١٩١٢ :

لقد أعطيت منذ لحظات أوامرى لسرية الحراسة لكى تكون على أهبة الاستعداد ليوم الغد داعيا لهم بالانتصار فيه ، لأننا قد أعددنا لغزو مفاجئ للايطاليين . وفي الصباح الباكر هرعوا فرحين إلى معسكرهم مستبشرين واثقين بأن النصر سيكون حليفهم . لقد اتخذت كل الإجراءات اللازمة لمثل هذه المعركة الكبيرة ، وكان معسكرنا يموج بشعور اللهفة والترقب للمعركة .

وقد وردت إلينا أخبار سارة من طبرق ، إذ تمكن أدهم باشا من إلحاق الهزيمة بخمس كتائب مزودة بمدفعين من المدافع ذوات المدى البعيد بسهولة ويسر رغم أن العدو كان مدعما بنيران المدفعية من سفنه الحربية . وقد استمرت المعركة من العاشرة صباحا إلى ما بعد الغروب بقليل ، ووفقا لتقرير أحد الجنود الأسرى من لواء المشاة الرابع والثلاثين فقد كان تعداد القوات الايطالية يناهز الثمانية آلاف من الجنود .

أما فيما يتعلق بجبهة بنغازى ، فقد ظل قائدها اليافع يعوق تقدم الايطاليين باستمرار . وكان قد حقق في الآونة الأخيرة انتصارا باهرا تمكن فيه من الوصول إلى مواقع متقدمة من جبهة العدو وقد انتزع هذا النصر بثلاثمائة مقاتل من المليشيا العربية وقد أحدث هذا النصر خللاً كبيرا في استراتيجية العدو إذ وقعت كتيبتان من قواته في كمين وتم سحقهما عن بكرة أبيهما .

منذ بضعة أيام انضم إلى صفوف معسكرنا ضابطان ألمانيان متطوعان وقد أسندت إلى أحدهما وكان ضابط مشاة مهمة إدارة المدافع الرشاشة أما الثاني وهو من سلاح الفرسان فقد أوكلت إليه القيام بمساعدتي شخصيا .

لقد أدخلت تحسينات معينة على الإدارة كإنشاء ورش حديثة حيث يتم إصلاح البنادق والمدافع الرشاشة التي نتمكن من اغتنامها. وقد سرني هذا التطور كثيرا، وأثلج صدرى كذلك وصول كميات من المعاول والمجارف ومعدات أخرى كثيرة ، مما عزز عندى الأمل في الربط بين القطاعين من جيشنا في فترة قريبة بإنشاء طريق مرصوف في أرض صخرية وعرة إلى الجنوب من درنة يبلغ طوله حوالى خمسة كيلومترات .

الرابع والعشرون من مارس ١٩١٢ :

لقد تمكنا في مدة يومين من قطع إمدادات العدو من الماء التي تصله من ينبوع عين درنة الذى يقع على بعد تسعمائة متر على الجانب الآخر من تحصيناتهم وهذا فقد أصبحوا يتجنبون الاشتباك معنا وسيكون عامل الوقت في صالحنا كما أن أى خسارة في جانبهم ستعد نصرا لنا .

كان السابع والعشرون من هذا الشهر هو يوم عيد جلوس السلطان على كرسي العرش وقد أقمت بهذه المناسبة أول عرض عسكرى هنا ، ارتدى فيه كل الجنود وضباط الضليمة زيهم العسكرى ، وكانوا يشكلون أربعة ألوية ، تتألف من الحرس والجنود النظاميين يتبعهم سلاح المدفعية والرشاشة ثم الميليشيا العربية .

وقمنا أنا وقائد الفرقة بتفتيش العرض ممتطين ظهرى جوادينا . وقد مرّ كل شيء على مايرام ، وأشرقت العيون ابتهاجا بعد أن لاحظ الجميع مني الرضا والارتياح . وقد تضمن العرض مرور مائة وعشرين تلميذاً من تلاميذ مدرسة معسكر عين بومنصور . وكانت خاتمته تتكون من طابور من الفرسان العرب قوامه خمسمائة فارس مروا وهم يتسابقون على ظهور جيادهم السريعة العدو . لقد كانت حقا صورة بهجة . وبعد العرض تحلق الجميع حولى فألقيت فيهم خطابا موجزا تناولت فيه الوضع وحثثتهم على الاستمرار في العمل العظيم الذى

بدأناه وأكدت على ضرورة عدم الإسراف في توقع النتائج . وفي المساء أقيمت مباريات في سباق الخيل كما أضيئت المشاعل على طول الجبهة الايطالية .

الثامن عشر من مايو ١٩١٢ :

انضم إلى معسكرنا ضابط انجليزى متطوع يسمى « ستوارت سمول وود » Stuart Smallwood الذى كان قد اعتنق الاسلام قبل أن يلتحق بنا ، ولم أر في حياتي البتة مثل هذا البريطاني إذ كان شجاعا جسورا إلى درجة التهور وكان التسلل إلى حصون العدو من تحت الأسلاك الشائكة للاستكشاف والاستطلاع وإعداد الخرائط ، ضربا لديه من اللهو والتسلية . وقد توغل منذ أيام إلى أعماق المواقع الايطالية برفقة حارس عربي ، فلما اكتشف أمره هوجم وقتل . لم تبرح صورة هذا الشهيد بطلعته القبيحة وحركاته الخرقاء السمجة ، خيالى لحظة واحدة هذا المساء ، ربما لأنه كان محبوبًا مقدرًا في المعسكر بأسره . وتكريما له وتخليدًا لذكراه كتبت إلى وزارة الحربية لكى تمنح أسرته وسام الامتياز الذهبي ووالدته « ميدالية شفيق » وأن يدرج اسمه في السجل الذهبي لوزارة الحربية .

السابع عشر من مايو ١٩١٢ :

أعتقد أن الناس يعتبرونني رجلا جد سعيد لأنه يتوفر بين يدى كل شيء من شأنه أن يرضي رغبات الانسان وطموحه ، كحرية التصرف والشهرة وطاعة الآخرين وتبجيلهم فالعرب يتقاطرون عليَّ لتقبيل يدى ويتبركون بي ويضحون بأنفسهم دوما من أجلي . وقد اعترتني — في هذا المساء — كآبة لاسبب لها — فيما أرى — إلا شعورى بفداحة الأعباء الملقاة على عاتقي وجسامتها تجاه وطني حتى غدوت آلة تحركها غريزة حب هذا الوطن .

نهاية مايو ١٩١٢ :

طبقا لما ورد في الصحف من تقارير اعتبر الآن في عداد الأموات . وأمس قرأ لى أحد العرافين كفي وتنبأ بأنني سأعيش حتى أناهز الثمانين .(٧١) تسلمت خطابا من الشيخ

---

(٧١) إن هذه النبوءة لم تتحقق عندما نعرف أن أنور باشا ولد سنة ١٢٩٨هـ وتوفى سنة ١٣٤٠هـ. (١٨٨١ م — ١٩٢٢ م) أى أنه لم يتجاوز نصف المدة التي تنبأ له بها العراف إلا بستين اثنتين ، انظر شهادة الميلاد المثبتة بالملحق الثالث والبلاغ الرسمى بوفاته المثبت بالملحق الأول .

السنوسي الجليل كان له أثره الطيب على نفسي ، وارتفعت به معنوياتي . والحق أني أحببت هذا الرجل على الرغم من عدم معرفتي له شخصيا . إنه في الحقيقة وطني جسما وروحا [72]

يبدو أن الايطاليين قد فقدوا الأمل في التوغل إلى دواخل طرابلس والآن ألقوا تفاهم بالهجوم على جزرنا . [73] نشب اليوم نزاع حاد بين المرأتين الأوربيتين الوحيدتين في معسكرنا . إحداهما ممرضة والأخرى زوجة لأحد مراسل الصحف الأجانب . ولعل مما يلفت النظر أن لدينا هنا عددا كبيرا من نساء البادية يعشن في وئام . ويؤدين عملهن في هدوء تام على حين أن امرأتين اثنتين من الأوربيات لم تتمكنا من ضبط نفسيهما ، والسيطرة على عواطفهما وانفعالاتهما والعيش سويا في وئام .

الثلاثون من مايو ١٩١٢ :

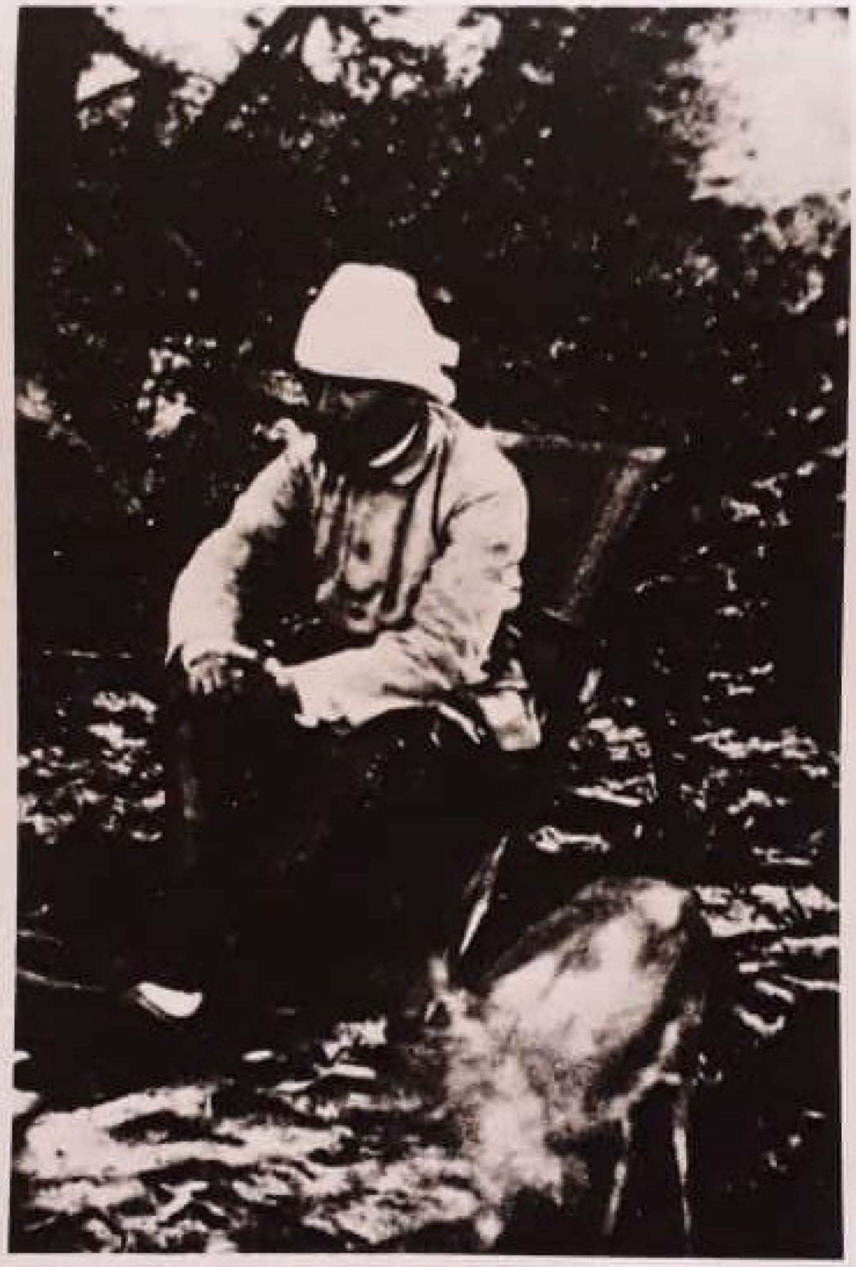
منذ فترة مضت أحضرت لى ظبية جميلة ، وللازمتها لى تعلقت بي تعلقًا شديدا وأصبحت تعرفني معرفة جيدة ، وأخذت تلاحقني أينما أذهب وتنام بالليل بالقرب من فراشي . وعندما عدت هذا المساء بعد زيارة لمواقعنا التي كانت هدفا لقذائف الإيطاليين ، فوجئت بتلك الظبية في حالة احتضار ، تتنفس بصعوبة بالغة وهي ملقاة على البساط ، رقبتها ممدودة . ورأسها متدلٍ إلى ناحية أخرى . وعلى الفور جلست على الأرض وأخذتها بين ذراعي وناديتها باسمها « منصورة » فالتفتت إليّ بعد هنيهة ببطء شديد ، موجهة بصرها نحوى ومخرجة طرف لسانها الأسود . فانتابني لذلك المشهد شعور مليء بالرهبة ، واغرورقت عيناى بالدموع وأصبحت في غاية الحساسية في الوقت الذى كنت مشغولا فيه بمئات الأمور الكبيرة والصغيرة التي تستدعي مني الكثير من التفكير والتدبير . وهكذا أصبحت ممزقا ، معذب النفس ولعل للشعور بالوحدة القاتلة دورا في ذلك . كان يلجأ إلينا من حين إلى آخر بعض الجنود الايطاليين وخاصة أولئك السود منهم فيمدوننا بتقارير غاية في الطرافة عن المعسكر الايطالي . ومن المعلومات التي أفضوا بها إلينا أن حوالى عشرين رجلا يموتون كل يوم في المعسكر الايطالي من جراء وباء الدزنتاريا مما أدى إلى ازدحام المستشفى ولذا فإن الحالة النفسية للجنود عامة كانت سيئة للغاية وعليه فإن الجميع يتطلعون إلى السلام . وللرفع

---

(٧٢) يعني أحمد الشريف السنوسي .

(٧٣) يقصد بعض الجزر التابعة للدولة العثمانية الواقعة في الطرف الشرقي من بحر ايجة لقد ارتأى وزير البحرية الايطالية أنه من الأفضل فرض حصار بحرى قوى على الطرف الشرقي من بحر ايجة بدلا من فرض الحصار على سواحل إقليم طرابلس الحرب الطويلة ولذلك ، أقدم الايطاليون على احتلال بعض الجزر العثمانية في شرق بحر ايجة لتتخذ كمواقع للاسناد والتزود البحرى

من معنويات الجنود المنهارة عملت القيادة الايطالية على بث أكذوبة بأن البحرية الايطالية تدك الآن بمدافعها مدينة اسطنبول .



أنور باشا مع ظبيته .

الأول من يونيو ١٩١٢ :

كنت أقرأ من حين إلى آخر في الصحف التي تصلني أخبار نعي لى في جريدة « الصحافة الحرة الجديدة » New Free Press على سبيل المثال نعتني بكلمات أخجلني ما فيها من المدح والتقريظ . وحتى الرسائل التي استلمتها كتب على أظرفها موظفو البريد المصريون بالخط الكبير كلمة (متوفي) .

أما ظبيتي الصغيرة فقد تماثلت الآن للشفاء ، يالها من ظبية جميلة طيّعة ، إن أحب شيء إليها هو التهام الشيكولاته بالورق الملفوفة فيه ، إنها تتصرف أحيانا بسذاجة كما يفعل الطفل الرضيع .

لقد أخطرت منذ قليل بانزال الايطاليين في ميناء سوسة ، فيا لها من فرصة سانحة لنا ، إذ أنهم يواجهون صعوبات جمة لاقبل لهم بها في هذه المنطقة بالاضافة إلى المقاومة الشرسة من قبل البدو هناك .

الثاني من يونيو ١٩١٢ :

لم يكن نزول الايطاليين بسوسة مباغتا لنا بل كنا نتوقعه . وقبل وصولهم هناك أنزل أحد مواطني درنة الذى كان يعمل جاسوسا للايطاليين ، أنزل على الساحل وكانت مهمته إغراء شيوخ البادية هناك باستقبال السفن الايطالية والتفاوض مع الايطاليين ، فإذا مافعلوا ذلك سيتأكدون من شهامة الايطاليين وكرمهم قولا وعملا . وكالعادة ألقي البدو القبض على ذلك الجاسوس وسلموه للمدير ، وباستجوابه اتضح لهم أنه متفق مع الايطاليين على إشارات معينة يطمئن بها الايطاليين على سلامة النزول ، فأجبره العرب على تأديتها ، فلما رآها البحارة الايطاليون نزلوا إلى الساحل فأصلاهم العرب نارا حامية ، الأمر الذى جعلهم يهرعون إلى قواربهم ركضا . وردا على هذا الاستقبال الودى من جانب العرب أخذوا يدكون المنطقة الساحلية بأسرها وعلى غير هدى طوال النهار .

السادس من يونيه ١٩١٢ :

أمطر المعسكر بوابل من نيران مدفعية البحرية الايطالية طوال يوم أمس ، وكنت أسمع ضوضاء العرب مدوية ومصحوبة بزغاريد النساء المثيرة لروح الإقدام بين الرجال وقد أخذنا نحفر خنادق كحفر الثعالب لحمايتنا من قنابل المدفعية البحرية الايطالية عيار ٢١ سنتيمترا. ويوم أمس قذف المعسكر بالمدفعية الثقيلة طوال المساء . إنها المرة الأولى التي يحدث فيها القذف بهذا النمط من القنابل وقد وجدت من الصواب أن أخطر رجالى بأن تأثير هذا النوع من القذائف الكبيرة لا يمكن تقدير اضراره خلافا لما كان عليه الحال بالنسبة إلى قذائف القنابل الصغيرة . وعند بداية الانفجار الأول خرجت من خيمتي إلى حيث كانت تسقط القنابل ، وقد انفجرت إحداها على مقربة مني وطارت منها شظية أصابتني في ردفي غير أنها ارتطمت بوسام كان متدليا بسلسلة ، ولذا فلم تسبب لى أية أضرار . وفي الوقت نفسه

انفجرت قنبلة أخرى ثقيلة فوق خيمة أحد العرب وأثارت غبارا غمرني ، ولم يكن في تلك الخيمة آنذاك سوى طفل رضيع كان نائما فألقي به دفع الانفجار على مسافة بضعة أمتار غير أنه لم يصب بأى أذى . قام لفيف من مشائخ القبائل كعادتهم بزيارتي يوم الجمعة الماضي ، معربين عن استعدادهم المطلق لتلبية كل ما يصدر إليهم من أوامر ماعدا الدعوة إلى السلام، ما لم يرحل الايطاليون عن وطنهم هذا كل مانجم عن الاحتلال الايطالى للجزر ، بيد أن هذا الحدث بعينه لن يؤثر في قراراتنا الصارمه وفي معسكر درنة فقط قام أولئك البدو المساكين بحملة تبرع جمعوا فيها ألف جنيه تركي أرادوا تخصيصها لشراء الطائرات . لم يخطر ببالى أبدا أن يبلغ إخلاص هؤلاء الرجال إلى هذا الحد المنقطع النظير ، فهم عادة ما يصفهم المرء بالفظاظة والجفوة . (٧٤)

كان أحدث ما حصلنا عليه أخيرا خيمة واسعة طولها أحد عشر مترا وعرضها سبعة أمتار ويمكن استعمالها صالة ممتازة للأكل كما أنها مريحة للجلوس أيضًا. وتبدو هذه الخيمة عند العصر وكأنها المنطاد . وعندما ترفع أروقتها يرى الجالس فيها منظرا رائعا للجبال الصخرية ومنحدرات الأودية والوهاد الحادة حتي ليخيل للمرء أنه جالس على مصطبة في أحد الفنادق بإحدى رُبا سويسرا ، ولقد كان لهذا الجمال الطبيعي الخلاب دور كبير فيما أحاوله من تبديد سحب الهم والكآبة عن نفسي ، حتي لا يلاحظ أحد ممن يحيطون بي ما قد يطرأ من تغيير على قسمات وجهي أو سلوكي .

الثاني عشر من يونيه ١٩١٢ :

أحضرت إليَّ مرة أخرى خطابات وبطاقات بريدية وجدت مع الجند الايطاليين الذين سقطوا في الميدان . وعند الاطلاع عليها صادفني باستمرار كلمة « آمور » Amore أى حبيبي . إن هؤلاء الغلمان الذين يحيون من أجل محبيهم يضحون بأرواحهم هدرا . فرغم دعاوى الايطاليين ومزاعمهم بأنهم يقاتلون من أجل مصلحة بلادهم وشرفها . لا يجدون ما يدعم ادعاءاتهم هذه من مبررات حقيقية ، أما نحن فنقاتل ولكن لنا مبرراتنا .

زودني البريد بالعديد من الصحف الاخبارية ، بيد أن الأحداث التي تدور خارج

---

(٧٤) لم تقتصر حملة التبرعات لشراء الطائرات الحربية على قطاع درنة بل تجاوزته إلى مناطق أخرى التي شعر المجاهدون فيها بالحاجة الماسة إلى امتلاك نفس السلاح الذى يحاربهم به الايطاليون .
يمكن الاطلاع على مجلة دونغا عدد ١٣ مارس بدون سنة ص ١٢٢١ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٢ ، ١٤١٤ ، ١٤٢٤ ، ١٥١٤ ؛ وانظر أيضا عدد سبتمبر سنة ١٣٢٨هـ ص ١٠٧ ، ١١٦ ؛ ٢٢٩ .

افريقيا لم تكن تعنيني في شيء ، فاحتلال الجزر لم يثر أعصابنا البتة ، لأننا جميعا وأنا على وجه الخصوص ندرك جيدا أن هذه الجزر معرضة للغزو الايطالى وأن الحاميات التي فيها ستتعرض لنهاية مؤلمة .

مرضت ظبيتي الصغيرة مرة أخرى ، فيالها من حيوان مسكين . إنها الآن ملقاة على مقربة من فراشي تحدق نحوى بنظرات واهنة حزينة ، لقد ظلت تعاني طوال اليوم من عذاب الاحتضار . ورغم ما عرفت به من صلابة بين الناس أحسست بالانهيار للآلام التي تعاني منها هذه المسكينة . ولما كنت عاجزا تماما عن عمل أى شيء من شأنه أن يخفف عنها آلامها اعتراني الخور ، وأصبت بخيبة الأمل .

السابع عشر من يونيو ١٩١٢ :

قمنا اليوم بتوزيع الجوائز على تلاميذ مدرسة المعسكر عقب انتهاء امتحان ربع السنة ، وقد كان هناك شعور عام بالارتياح لما حققه التلاميذ في مثل هذه المدة الوجيزة . إنني جد سعيد وخاصة عندما رأيت هؤلاء المائة والخمسين من أطفال البادية بصحبة آبائهم يتوافدون على مدرسة المعسكر. إنهم هم الآباء الذين كانوا قبل ذلك يتخوفون من مجرد رؤيتهم للمدرسة ، وهاهم أبناؤهم الآن قد أثبتوا ذكاء منقطع النظير.

وصلتني من اسطنبول أنباء ترقيتي إلى رتبة مقدم ، ورغم أنني جدير بهذه الترقية بحسب سنوات خدمتي العسكرية وجدت أنه ينبغى على كتمان خبرها إلى نهاية الحرب ، تجنبا لما قد تثيره من غيرة وحسد لدى زملائي الضباط .

عادت الصحف الأخبارية من جديد تتحدث عن الصلح ومؤتمرات السلام التي أعرف عدم جدواها للمسلمين ، وقد شرعت في تدريب الأهالى أيضا على استعمال المدفعية ما دامت التجهيزات اللازمة متوفرة لدينا، وما دامت الحاجة إليها غير ماسة في الوقت الحالى. وفي المستقبل القريب سوف لن أحتاج لأية موادمن الوطن الأم. ولو وقعت معاهدة سلام غير عادل فسوف أبقي هنا لمواصلة الحرب .

الرابع والعشرون من يونيه ١٩١٢ :

وصلتني يوم أمس برقية من الخمس حملت إليّ أنباء انتصار عظيم لنا هناك إذ تمكنتْ قواتنا من أن تعصف بأكثر قلاع الايطاليين مناعة وتحصينا ، في لبدة ، وأن تجتثها

تقريبًا عن بكرة أبيها ، وقد تم تدمير مدفعين إيطاليين كما هزم العلم الايطالي .

كان وجودي بين العرب في هذا المكان القفر البوار يوحي بحياة ملؤها الحرمان والعدم ، لهذا كرتي بدأت تضعف وخواطري أخذت تخبو . ورغم كل ذلك أقولها بصراحة إن حياتي هنا بما صاحبها من أحداث صغيرة قد بعثت في نفسي مشاعر قوية اتطلع دوما إلى نتائجها كما يتطلع الطفل إلى يوم العيد .

جيئ إليّ بأسير إيطالي برتبة ضابط صف كان مظهره العسكري لائقا مقبولا وقد أخبرني بأنه هرب من معسكره نظرا لاضطهاد ضباطه له بالضرب وتهديدهم إياه بالسجن . وأخبرني كذلك عن تمكّن الضجر وتدهور الروح المعنوية بين صفوف رفاقه وأكد أنه لولا خشيتهم أن يتعرضوا لسوء من جانب العرب لبادروا بتسليم أنفسهم إلى المراكز العثمانية لأنهم أدركوا ماهية هذه الحرب . هذا عن الجانب الايطالي ، أما عن جانبنا فإننا مصممون على مواصلة الحرب لسنين أخرى . إن معنوياتنا على عكس حال العدو ، عالية وفي تحسن مُطّرد أكثر من أى وقت مضي ، فالنضال من أجل الموت في سبيل الوطن يعد السعادة بعينها في نظرنا ، في حين أنهم — أى الأعداء — يفكرون في كيفية الفرار من أعباء التضحيات في سبيل بلادهم .

الجمعة في الثامن والعشرين من يونيو ١٩١٢ :

رغم أنني كنت متعبا كان عليّ أن أتحامل على نفسي ، لأن اليوم هو يوم الجمعة أى يوم الزيارة المشهود التي يقوم بها أولا أهل الحل والعقد من مشائخ الزوايا السنوسيين . فيقدم لهم الشاى ، ثم يعقبهم الآخرون في جماعات ، فيقبلون يدى وركبتي (٧٥) ثم يأخذون مجلسهم فتملأ روائحهم الزكية أرجاء خيمة الاستقبال ، وعندما أبادرهم بالسؤال عن كيفية سير الأمور عندهم ، يأتيني دوما ردهم التقليدى ، «مادمت أنت بصحة جيدة وسعيد ، فنحن سعداء أيضا » . وبعد الانتهاء من محادثة قصيرة أنهض داعيا الله أن ينعم عليهم ومن ثم يتركون الخيمة وبعد تكرار هذه المراسم اثنتي عشرة مرة أخرج أمام الخيمة لإقامة الصلاة مع أولئك الذين مازلوا يتجمعون بالخارج . وعقب الصلاة ينصرفون إلى مضاربهم سعداء .

---

(٧٥) من المعروف في ليبيا عموما أن تقبل يدى الشخص الكبير ورأسه احتراما وتقديرا له وأما تقبيل الركب كما ذكره أنور باشا غير متعارف عليه . انظر مادونه في مذكراته يوم ٢٨ يونيو سنة ١٩١٢ .

الثاني من يولية ١٩١٢ :

عدت لتوى من رحلة استطلاع لمواقع العدو إذ بقيت بعيدا معظم المساء وطيلة الليل وحاولت في هذا الاستطلاع أن التقط صورا لمواقع الايطاليين الحصينة من على بعد ثلثمائة متر في ضوء القمر وكانت كل صورة تستغرق نحو نصف ساعة وقد استمر الحال على هذا النحو بدون انقطاع ، فلعل حراس العدو كانوا نائمين وقد بدت درنة في ذلك الحين تحت ضوء القمر بأشجار نخيلها وبيوتها الناصعة البياض تخيم عليها سحابة داكنة مخيفة ولم أر أى ضوء أو شعاع نار ، ولكن كان يلوح في الأفق البعيد من حين إلى آخر وعلى مسافة كيلومترين وميض ضوء السفن الحربية الايطالية . ونظرا لوجود السحب السوداء الداكنة في الأفق فقد صعب رؤية ذلك الضوء بوضوح .

الرابع من يولية ١٩١٢ :

زرت اليوم سيرين القديمة « شحات » فوجدتها جميلة تأخذ بالألباب ، إنها العاصمة القديمة لهذا الجزء من بلدى الذى ألقى على عاتقي مهمة الدفاع عنه . كما قمت بزيارة بعض الاطلال الأثرية التي استخدمت لتغطية بعض مواقعنا المتقدمة . فأحد هذه الخرائب يبدو أنه كان معبدا تداعت أركان قوسه التي لا تزال بادية للعيان . وهناك خرائب أخرى يبدو أنها بقايا مدرج روماني ، كما يتضح من مقاعده الحجرية الضخمة التي يبلغ طول كل منها مترين وعرضه نصف متر . ويوجد بين هذه المقاعد ممر ضيق يؤدى إلى كهف في المؤخرة به ثلاثة أقواس لعله كان غرفة لتغيير ملابس الممثلين . ويربط بين مخرج المدرج ومدخله الرئيسي ممر مرصوف بأحجار كبيرة مربعة الشكل . ومن الواضح أن الرومان قد حفروا أخاديد على تلك الحجارة مماثلة لدروبنا الحالية وربما استخدمت بنفس الطريقة . وكم يتمنى المرء أن يتوفر له وقت فراغ فيشغل نفسه فيه بدراسة التاريخ .

التاسع من يولية ١٩١٢ :

وصلنا اليوم الزى الخاص بالمشاة وقد ارتدت الفرقة الأولى زيها . أما فيما يخص زى البادية فكنت حتى هذه اللحظة قد تركتهم وشأنهم حتى لا أثير حفيظتهم . وقد حلت هذه المسألة عقب اجتماع المشائخ إذ أكد أحدهم أن اللون « الكاكى » للزى العسكرى يتلاءم ولون الأرض ولذا فإن الجند الذين يرتدونه يكونون أكثر أمنا من غيرهم . وهو يتناسب لمهام

فرق الحرس الخاص التي تناوش العدو باستمرار . ولما كنت أتفق بطبيعة الحال وهذا الرأى ، فقد أصدرت أوامرى بأن ترتدى الفرقة الأولى من الحرس الخاص هذا الزى فورا . ولما كانت هذه الفرقة تتألف من نخبة من مختلف أبناء القبائل ومرتبطة بي شخصيا ، فإني أتوقع أن يحذو الآخرون حذوهم لاعتقادهم بأن لذلك ميزة خاصة . وعلى هذا النحو أكون خطوت خطوة إلى الأمام في سبيل تأسيس جيش نظامى . وقد ازداد شغف أفراد الحرس بزيهم كما لاحظت ذلك اليوم أثناء التفتيش . وبعد ذلك قمت بتفتيش فرقة المدفعية الرشاشة والتي تمكنا أن نركب أجزاء مدافعها المسروقة من الايطاليين ، وكانت النتيجة مرضية للغاية وقد انتهزت هذه الفرصة لأعبر عن شعورى لقائد الفرقة الملازم فون بنثايم von Bentheim بالشكر والعرفان لإخلاصه في إنجاز مهمته .

تسلمت في هذا المساء رسالة من أخ وورث شيخ الدعوة السنوسية الكبير ونصها كمايلي :

« باسم الله الرحمن الرحيم . والحمد والشكر لله وحده . الذى بحوله وقوته هزم أعداءنا وفتح أبواب المجد لجيوش المؤمنين فأوفى لنا بوعده . والصلاة والسلام على الرسول خاتم الأنبياء والمرسلين . لقد هدانا إلى اتباع أوامر الله فلا نخضع للكافرين . فليعش قاهر أعداء وطننا وديننا ، صهر فخامة السلطان رمز القوة الذى جعلته حكمته أعظم عظماء العالمين ، ذو المقام السامى العفيف عنوان الفضائل سليل السلف الأماجد ، مثل مشائخ السنوسية أحياء وأمواتا . فليعش ذلك الصنديد الذى لا يعرف الكلل والملل بطلا بين الأبطال ، الأسد الكاسر ، صديقنا وموجهنا أخونا فخامة أنور باشا نبتهل إلى العلى القدير أن يلهمك سواء السبيل لمجده وأن يمنحك النصر من عنده . أبعث لكم بتمنياتي الطيبة ولكل من معكم فإنكم ستظلون في قلوبنا بإخلاصكم وصدقكم . نبتهل إلى الله سبحانه وتعالى أن يسدد خطاكم ويؤيدكم بالنصر على أعدائكم وأن يقود جيشكم دائما إلى سبيل المجد . لقد وصلتنا الأنباء السارة عن أعمالكم المجيدة . وإننا ندعو الله لكم ولأعتاب السلطان العظيم راجين الله سبحانه وتعالى أن يمنحه المنعة والعزة وأن يمده بقوة من عنده لسحق أعدائه .

لقد علمنا من إخوتنا عطفكم عليهم فنطلب من رب العباد أن يمنحك طول العمر والسعادة التي هى غاية المراد وأن يحفظك لنا جميعا . وستنال أجر من أطاع الله فيسعدك في الدنيا والآخرة ، هداكم الله سواء السبيل وأيد خطاكم ومنحكم النصر والغلبة من عنده .

ولولا حاجتنا الشديدة إلى الإبل لكنا معكم ، غير أن قلوبنا معكم ليلا ونهارا ولا يمكننا أن نماطل فيما أمرنا الله سبحانه وتعالى وخليفتنا المبجل السلطان الذى أسلمنا أنفسنا له ولكم طمعا في الفوز برضاه .

إن أخاك الذى خط هذه السطور يبعث لكم بهذا الخطاب لأنه عاجز عن الحضور

بنفسه لتقبيل أياديكم . إننا نطمع في أن نحوز رضاكم ورضى عظمة السلطان ونتوسل إليكم أن تدفعوا أفضل سلامنا وتحياتنا لدى أعتاب العرش السامي وإننا نتضرع إلى الله العلي القدير أن يستجيب إلى دعائنا من أجلكم بانوز أبصارنا ومن أجل المجاهدين القاصي منهم والداني » .

الثامن عشر من يولية ١٩١٢ :

إنه لمن المزعج والمقلق حقا أن يستمر الايطاليون في قذف معسكرنا لليوم الثالث على التوالي بمدافع الخمسة عشر سنتيمترا وعلى الرغم مما استهلكه الايطاليون من ذخائر منذ بداية القذف حتى الآن لم نخسر إلا ستة أرواح من بينهم ثلاث نساء وطفل واحد . وكان العرب يتحرقون شوقا للأخذ بثأرهم وحتى الآن لم نغير موقع معسكرنا بل اكتفينا بدلا من ذلك بوضع مدافعنا على نقاط مرتفعة من الهضبة بعيدة عن متناول مدافع السفن الحربية الايطالية . وأخذنا ندك بهذه المدافع ثكنات الايطاليين وميناء درنة .

العشرون من يولية ١٩١٢ :

اتخذت كافة الاستعدادات ليوم الغد حيث قررنا قصف قلعة لومبارديا بكل مدفعيتنا . وفي الوقت نفسه سأنتهي عند الظهيرة من الرد على خطاب شيخ السنوسية الجليل . سيدى أحمد الشريف الذى تحمل رسائله الصداقة بدون تحفظ . الشيء الذى يجعلها جديرة باهتمامي لأن هذا الرجل هو الوحيد الذى يمكنه أن يأخذ بيدى في هذه الحرب وإلا فقد يتسبب لى ضرر فادح .

ومما يدعو للأسف الشديد أن الأمور في بلادى تسير على غير ما أتمنى ، ومن الطبيعى لا يمكنني أن أساهم في الأحداث المصيرية الجارية هناك مساهمة فعالة بل ينبغى عليَّ البقاء هنا حتى يتطور الخطر تطورا ملحوظا .

الرابع والعشرون من يولية ١٩١٢ :

إن التفكير الدؤوب في الأحداث الجارية في أرض الوطن لم يفارق مخيلتي البتة . فلقد استبدل مجلس الوزراء السابق بآخر أكثر تفاهة باستثناء وزارة الحربية التي وضعت في أيد غيورة نأمل أن تعود على الجيش بالنفع . وعلى كل حال فلن يمكنني القيام بأى دور سوى ما شرعت فيه هنا .

لقد بعث لي فخامة السلطان الأمر العثماني القاضي بتسليم الهدايا التالية إلى شيخ السنوسية الجليل سيدى أحمد وهى تتألف من سيف مرصّع بالماس وساعة مرصّعة بالجوهر وأشياء أخرى .

الواحد والثلاثون من يولية ١٩١٢ :

عندما كنت صغيرا كان أحب شيء إليّ أن أستلقي على ظهرى الساعات الطوال محدقا في السماء ونجومها البراقة سابحا وحالما بمستقبل زاهر . وما أروع وقت الغروب هنا وما أبهى السماء ونجومها التي لا تحصى ولا تعد . وكم يكن لهذه الصورة الجمالية من روعة وحسن في ظل ذلك الاعتقاد القديم القائل بأن جنة الهسبيرايد(٧٦) المزعومة كانت توجد في ضواحي بنغازى فلابد إذن من الصمت إجلالا لهذه الصورة الجمالية رغم أن قلبي المفعم بالحياة لن يقف معي . وهل للمرء أن ينعم بالحرية عندما تتعرض حياته للخطر فيعبر عن كل شيء يدور في خلده ؟ إنني بطبيعة الحال لا أملك دهاء الأوربيين في الإذعان والخضوع لكل شيء حتى وهم في غاية الهدوء والسكينة . إن ذلك ما ينقصني حقا .

أول أغسطس ١٩١٢ :

قرأت العديد من الصحف الإخبارية التركية والألمانية والفرنسية والإنجليزية والايطالية ورغم ذلك فلا يزال يكتنف ناظرى الغموض التام . وغالبا ما أثار في نفسي انفراد معسكرنا في هذه الأرض الجرداء القنوط . فشعرت دائما وكأنني يتم طحنه الهجر والحرمان في دنياه فركن إلى أريكة في إحدى زوايا دير حيث جنح به الخيال فتصور أن في إمكانه أن يخفي نفسه تحت أجنحة الملائكة .

لقد صعّب أولئك الطليان الملاعين ، الأمور أمامي واستأثروا بكل وقتي فلم أجد الوقت الكافي لأستذكر فيه مخاوفي إزاء الأحداث الجارية في اسطنبول وتركيا الآسيوية . وعلى الرغم من أنني محتجز هنا ، فإن المشاعر أخذت تساورني بأن وطني أصبح في مسيس الحاجة إليّ شيئا فشيئا .

لقد حاول الايطاليون الذين انسحبوا إلى الجنوب من درنة وخلف سلسلة الجبال ،

---

(٧٦) جنة الهسبرايد هى الفردوس الاغريقي الخرافي الذى كان يعتقد وجوده بالقرب من بنغازى القديمة ، حيث يوجد فيها شجر التفاح الذهبي الذى كانت تحرسه الحوريات



رحلة إلى الدواخل : تشمل هذه الصورة :

١ — والد أنور باشا .
٢ — العلم المقدس .
٣ — المساعد الثاني لأنور باشا .
٤ — أنور باشا .
٥ — سيدي العلمي ، صهر سيدي أحمد الشريف .

حاولوا عبثا أن يسكتوا صوت مدفعنا الصغير بمدافعهم الستة ذات العيار خمسة عشر سنتيمترا ، المتمركزة في القلاع المدعمة بمدافع الطرادات الحربية . فقد ظل مدفعنا الصغير يدك درنة بمفرده . كان معسكرنا في العراء بالقرب من درنة لدرجة أنه كان بوسع المرء سماع الضوضاء المنبعثة منه ليلا ونهارا . لقد كنا نرد بعشر طلقات على كل ألف طلقة إيطالية . ولو حاول الايطاليون التحرك من مواقعهم محاولين شن هجوم علينا ، فبمشيئة الله سوف نلقنهم الدرس الذي كانوا ينوون تلقينه لنا منذ عدة أشهر طبقا لما ورد في صحفهم .

٣ أغسطس ١٩١٢ :

بعثت بقليل من الرسائل الوصفية لبعض من أصدقائي وكنت عادة أدون هذه الرسائل عندما تتزاحم في مخيلتي أفكار جادة ، فكتابتي لمثل هذه الخواطر تلهيني عما أنا فيه من معاناة وتدفعني إلى الهدوء والسكينة . إن المستقبل يبدو الآن أمامي حالك السواد ، وكل شيء يبدو معضلة عويصة يصعب البت فيها ، لأنني أنا شخصيا ليس لي في ذلك حل ولا ربط ، ولذا فإنني في بعض الأوقات تمنيت أن يكون لي قارئ كُفء لعلّي أجد في كلماته بصيصًا من الأمل للترويح عن مزاجي المتذبذب القلق .

٦ أغسطس ١٩١٢ :

الأنباء الواردة من الوطن لا تدعو إلى الاطمئنان ، فإذا لم يحدث أى تغيير في مجرى الأحداث ، فإن ذلك يعني حتما أن الموقف سيكون في «كف عفريت» ، إن والدى قادم غدا ويتطلع الأعراب إلى هذه المناسبة بشغف لأنهم يريدون أن يعبروا بترحابهم لمقدمه عن مدى مكانتي لديهم .

٧ أغسطس ١٩١٢ :

أشعل الأعراب النيران في الهواء الطلق احتفاء بقدوم والدى الذى كنت في انتظاره مساء البارحة حوالى الثامنة في ممر وادى درنة الضيق إن وميض النيران المنبعث من أكوام الحطب بدّد ذلك الظلام الدامس مما أعطى صورة رائعة حقا .

وعندما وقع بصر والدى عليَّ لم يتمالك نفسه فبكى ، وقد بادر الأعراب بتقبيل يديه وفي ذات الوقت انطلقت الأعيرة النارية محيية مقدمه ، وأشعلت النيران في كل مكان على طول الطريق المؤدى إلى المعسكر ، وظل الأعراب يسيرون عن يميننا ويسارنا وهم يحملون المشاعل والأعلام مطلقين صيحات البهجة والحبور تقديرًا لنا . وفي هذه الأثناء عرض لى حادث بسيط ، فقد قفز فرسي عاليا وسط هذا المرج والهرج فطرحني أرضا في منحدر على بعد عشرة أمتار ، بيد أنني لم أصب بأذى على الإطلاق . وحال وصول ركبنا المعسكر وجدنا هناك احتفالا آخر في انتظارنا . إذ أخذ الايطاليون حاليًا يطلقون نيران مدافعهم ثانية وبشكل محموم ، مستخدمين كل بطارياتهم ومدافع الطوربيد وكلها كانت مصوبة نحو مدفعنا الصغير المتمركز شرقي درنة ، والذى يودون أن يخرسوه لأن أثره كان بالغ الأهمية على سكان المدينة .

العاشر من أغسطس ١٩١٢ :

في فترة التسعة أشهر التي مضت والتي قضيتها هنا ، توفي عشرة أشخاص فقط بسبب المرض . ومن ثم فليس للمرء أن يشكو من الحالة الصحية للجنود وخاصة بعد أن أصبحنا في مأمن من انتشار الأمراض بعد انقضاء فترة الحرارة الشديدة .

اما فيما يتعلق بالطعام فقد كان متوفرا ، فاللحوم توجد بكميات وفيرة وكذلك الخضروات كما يوجد أيضا البطيخ ويأتي العنب إلى السوق بكميات كبيرة ، وقد أحضر لى أخيرا عنقود من العنب زنته ثلاثة كيلو غرامات ونصف .

وفي نفس الوقت لم تتورع الصحف الايطالية عن نشر الأكاذيب عني ، إذ نشرت أنني هربت مؤخرًا مع زوجة ملازم بريطاني . إننا لازلنا نمارس علاقة ملؤها الضجيج مع الايطاليين ، إذ أن شظايا قنابلهم عادة تتطاير فوق مدافعنا على ارتفاع ألف متر .

١٢ أغسطس ١٩١٢ :

بدأ في هذا اليوم شهر رمضان وقد حضرت فيه صلاة طويلة .[٧٧] إن ديننا يستوجب أثناء الصلاة أن يستغرق المرء كلية في عبادة ربه وألا يشغل نفسه بشيء سواه . وكان ذلك بطبيعة الحال أفضل وسيلة لاستبعاد كثير من الأفكار الضارة والخواطر السيئة .

لقد تم العمل في الطريق الذي يربط بين السلوم والخيلي ووصلت السيارات بواسطته إلى الاسكندرية ولقد أوكلت مهمة إحضارها إلى « ج » الذي سيصبح بدوره قائدا لفصيل السيارات .

١٦ أغسطس ١٩١٢ :

هل يمكن لهؤلاء الايطاليين الملاعين أن يتشجعوا ولو مرة واحدة فيقوموا بمهاجمتنا؟ انه لمن المحزن حقا أن نكون مضطرين لفرض الحصار عليهم . وقد تبادر إلى مخيلتي أن نابليون كان سعيد الحظ عندما حاصر « مانتوا » . إلا أنني في الواقع بدأت أخشي أن يفسد السلم علينا كل خططنا الرائعة .

كان هذا اليوم حافلا حقا بالمتاعب ، وكان من الصعوبة بمكان أن أبدو واثقا وغير مهموم المظهر . فمن جانب العرب ينبغي عليّ أن لا أبدو أسيرا لهمومي ، فإذا ما بديت لهم على هذا النحو ، فلربما يطرأ تغيير على موقفهم ، لأنهم يوجسون خيفة بأن مكروها قد يحدث لهم ، وأن شيئا لا تحمد عقباه على وشك الوقوع . ولسوء الحظ فأنني أصبحت أقف هنا مكتوف الأيدي ، وأنا أحاول الحفاظ على قطعة من أرض الوطن . فالأحداث الجارية في القسطنطينية أصبحت تسير في منحرف خطير . أما فيما يتعلق بالمثيرين للشغب بين الضباط ، فإنني بعثت ببرقية إلى وزير الحربية مذكرا إياه بأننا جميعا هنا نشجب وندين أولئك الحقراء الذين يجرّون القوات المسلحة والوطن إلى الفوضى والاضطراب . ولسوء

---

(٧٧) يعني بالصلاة الطويلة صلاة التراويح

الطالع فقد تنبأت بحدوث هذه الأزمات لوطني المسكين . ولعل حربًا على مستوى القارة تكون هي العلاج الناجع لانقاذنا .

٢٠ أغسطس ١٩١٢ :

قرأت مؤخرا كتابا باللغة الألمانية . ولقد بقيت عالقة منه في مخيلتي جملة مفادها « إذا لم نتمكن من إدراك مثلنا العليا . فينبغي علينا على الأقل آنئذ أن نجعل واقعنا مثاليا » .

٢١ أغسطس ١٩١٢ :

قمت بالأمس بزيارة رجال المدفعية الذين كانوا يمطرون المدينة بمدفعهم . والمرء هنا لا يمكنه مشاهدة العدو الذى يحاول الرد على كل طلقة واحدة باثني عشرة طلقة مدفعية تقريبا . ومما يدعو إلى البهجة حقا هو مشهد رجال المدفعية وملابسهم الملوثة بالغبار والبارود والدخان الناجم من دك الايطاليين . إن هؤلاء الرجال يؤدون واجبهم في هدوء ووقار . ويمكن للمرء أن يتتبع الطلقات بكل سهولة . إذ أنها كانت تبدأ بأربع طلقات فاترة من مدافع عيار الخمسة عشر سنتيمترا . وبعد ذلك بحوالى عشر ثواني يسمع صفير مشفوع بزلزلة أربعة انفجارات ولا تلبث أن تكتسي المنطقة بأسرها بالغبار الأحمر أو الأبيض طبقا لنوعية الأرض التي تتساقط عليها القنابل . ولا تلبث أن تتطاير قطع الحديد والحجارة في كل صوب . ثم يسمع المرء بعد ذلك دوى قذائف ومدافع الميدان الايطالية . ومن جهة أخرى تتهاوى قذائف المدافع الايطالية من القلعة الجنوبية على غير هدى . إذ أنها لا تسقط على أهدافها . الأمر الذى يدعو إلى السخرية والاستخفاف .

٢٣ أغسطس ١٩١٢ :

استلمت منذ قليل خطابات قادمة من ألبانيا تحمل بين طياتها أنباء مرعجة تدعو المرء إلى اتخاذ قرارات حاسمة .

٢٤ أغسطس ١٩١٢ :

إن ما يجرى الآن في اسطنبول ما هو إلا نتيجة طبيعية للثورة . وإن المخاطر الكامنة في

بات أكثر فداحة علينا منها على الدول الأخرى . ولذا فإنني أخشى أن الأوضاع الراهنة لن يستقيم أمرها إلا إذا مستها يد سحرية .(٧٨)

إنني في الوقت الراهن لا أستطيع مغادرة موقعي هنا لأنني لو أقدمت على ذلك فإن الضباط العاملين معي والذين لايمكن الاستغناء عنهم إطلاقا سيغادرون هم أيضا . وإذا ما هدأت الأمور في خلال شهر فقد يمكنني حينئذ الظهور على المسرح حيث ستكون الحاجة إليَّ أكثر إلحاحا ، لأن الساعات الحرجة التي تمرّ بها بلادي أخذت تجذبني بشدة كما تنجذب إبرة البوصلة المغناطيسية .

لم تعد طرابلس محورا للسلام ومن يدرى فقد يشتعل أوار حرب في البلقان لأن اللحظات الراهنة زاخرة بالأحداث والمستقبل معفّر بالوحل .

لقد أحضر إليَّ مصباح روماني صغير عثر عليه في خرائب قصر سمالوس. فهذا القصر عبارة عن قلعة رومانية تختلف في فنها المعمارى وأسلوب بنائها عن القلاع الرومانية المعروفة . فهي عبارة عن مربع ضخم له واجهة من الحجارة المنحوتة بدقة فائقة وجدران مبنية من اللبن . ويوجد على العمود القائم في وسط القلعة نقش عربي يرجع عهده إلى الجنرال محمد(٧٩) ويمكن أن نخلص من ذلك أن هذه القلعة الرومانية الأصل قد أعاد العرب ترميمها . إنني بعثت بهذا المصباح الزيتي الصغير إلى صديق حميم بألمانيا مخالفا بذلك مبادئ الجوهرية ، لأنه لوترك الأمرلى لما فرطت في حبة ضئيلة من الرمل لتغادر وطني الأم ، تركيا .

الثامن والعشرون من أغسطس ١٩١٢ :

إذا كان السلام مع إيطاليا يضمن سلامة حرية الوطن والاحتفاظ بالاجزاء الخاضعة لنا حتى الآن فسيكون هناك أمل في أن أعود إلى اسطنبول ، وأما إذا كان الأمر على خلاف ذلك فإنني أفكر في الاستمرار في مواصلة الحرب . وقد بعثت بهذا الرأى إلى الحكومة الجديدة طالبا تمديد بقائي في طرابلس حتى ولو دعا الأمر إلى استقالتي من الجيش التركى .

(٧٨) كان أنور باشا يرى في نفسه العصا السحرية التي ستنقذ الامبراطورية العثمانية من التدهور . لقد كان متأثرا بنابليون بونابرت وقد عبر عن أهميته الشخصية البالغة لانقاذ بلاده من المزالق ، وربما رأى في نفسه الاسكندر الأكبر عندما نقل حركته النضالية إلى أواسط آسيا إذ كان يتطلع إلى الاستيلاء على المناطق المعروفة الآن بأفغانستان وباكستان بعد إيقاظ الروح الطورانية جنبا إلى جنب مع الحمية الإسلامية والمناداة بالثورة ضد الاستعمار البريطاني في تلك الأصقاع .

(٧٩) لم نتمكن من الحصول على معلومات أكيدة عن الجنرال محمد المذكور آنفا .

وصل اليوم إلى المعسكر قادما من لندن رجل بريطاني يدعي بأنه مراسل لإحدى [illegible] الصحف ولكنه على الأرجح جاسوس إنجليزي يتسم بالدهاء والمكر ولذا فمراقبته بحذر شديد .

العشرون من أغسطس ١٩١٢ :

من الواضح أن هذه المنطقة الصحراوية قد شهدت فترة حضارية متقدمة جدا فأينما ذهبنا كنا نجد بقايا آثار اغريقية قديمة مثل خرائب أعمال الري .

في برقة التي تشبه إلى حد بعيد المنطقة الواقعة حول تريستا استطاع الإنسان قديما أن يوفر حاجته الضرورية من الماء لأغراض الشرب والزراعة عن طريق الاستفادة من نظم الري التي كانت غاية في الحذق والإبداع . فمنذ قرون عديدة تمكن المعمرون الاغريق القدماء من تحقيق أشياء مذهلة أصبحت الآن خرائب : تجوبها قطعان الماشية بعد أن عصفت الأحداث بمراكز هذه الحضارة الاغريقية الزاهرة عبر القرون الماضية على أيدي الوندال ومن عقبهم



بعض من مشائخ الزوايا

من غزاة . أما الآن فإن القبائل النصف بدائية لاتزال تقيم خيامها وسط تلك الأنقاض الأثرية المتداعية . ولولا جهود السنوسيين الذين أصلحوا قليلا من أمور هذه القبائل الدينية والتعليمية لازدادت بدائية في حياتها وتقاليدها بالرغم من تعرّبها .

وعندما يرى المرء الجمال وهى تشق طريقها بصعوبة بالغة في هذه الأرض الوعرة يدرك تماما أن هذه الحيوانات لم تخلق لكى توجد على هذه الأرض الصعبة المسالك ، ولربما كانت الخيول أنسب حيوانات للاستخدام في هذه الأرض . ويمكن أن يخلص المرء إلى القول بأن هذه البقعة التي كانت قادرة على إمداد حوالى مليون وربع نسمة لاتكاد اليوم تسد حاجة سكانها البالغ عددهم خمسمائة ألف نسمة والذين يتكونون بشكل أساسي من القبائل البدوية التي هاجرت من جنوب الصحراء .

كان من الممكن أن تكون الأحوال في تركيا أفضل خاصة وأن قلاقل مسلمى ألبانيا ليست ذات أهمية تذكر . أما فيما يخص ثورة الميلسور التي كانت تحرض عليها أيادى أجنبية فهى في خطر . أما رفاقي فقد نصحتهم بعدم التدخل حاليا في هذه القضية لأن التضحيات التي سيقومون بها تتجاوز طاقاتهم ، وقد تربك الأمور وتزيدها تعقيدا وخاصة بعد أن لاحت في الأفق بشائر السلام وما هو إلا شهر أو اثنان وتحل هذه الأزمة .

عندما وصل الايطاليون للمرة الأولى هنا وأنشأوا قلاعهم العسكرية قاموا بطلائها باللون الأبيض إمعانا في إظهارهم لقوتهم ومنعتهم لإنزال الخوف والرعب في قلوب العرب ، أما الآن فإنهم غيروا الطلاء الأبيض إلى طلاء رمادى داكن وما أسعدهم الآن إذا لم تكتشف مواقعهم .

الثاني من سبتمبر ١٩١٢ :

استلمت خطابا من ألمانيا صيغ بأسلوب غاية في البراعة والاتقان ، متناولا بإسهاب أشكال الدولة المتعددة الأنماط . فأنا كرجل عسكرى أؤيد الانضباطية والحكم المطلق في القوات المسلحة والا العمل بدستور معتدل على غرار الدستور الألماني وأن أولئك الذين يحاولون الاحتفاظ بالسلطة لأنفسهم يجب استبعادهم . كما قال أحد الفرنسيين بصحيح العبارة ، « كان يوجد في فرنسا قبل ظهور الجمهورية طاغية واحد ، أما الآن فهناك مئات الطغاة لأن كل نائب يتطلع إلى إشعار الآخرين بقوته » .

كما تعرض هذا الخطاب إلى ذكر إشاعة مفادها أن طلعت باشا مسجون وهى إشاعة لا أساس لها من الصحة ، وإن كان ذلك صحيحا فإنه لا يعيرني إلا بدرجة قليلة كما لو

كنت اتعرض لنفس المصير. كانت هذه هي الحالة دائما وأخذت تزداد باستمرار حتي كادت أن تكون قاعدة وهي أن مصير الوطنيين ينتهى غالبا إما إلى السجن أو إلى أعواد المشنقة. إن ما يوجه إلينا من لوم إزاء عدم وقوفنا بصلابة تجاه رجال العهد القديم فيه شيء من الصواب. ومن ثم فإنني أعتقد أننا في حاجة إلى مجلس نيابي نتحكم بواسطته في قرارات الحكومة. إن إصلاح الوضع الداخلى يتطلب من الحكومة أن تلتزم بإجراءات صارمة مشابهة لمثل «دراكو» فالحكومة التركية رغم أنها لاتسلك النهج الحميدى إلا أنها تناهضنا نحن طلائع تركيا الفتاة. ومن هذا فلاينبغى أن تحجم عن الشدة والصرامة إذا أرادت أن تتفادى الأزمة الراهنة التي أصبحت نذير سوء تهدد الأمن والنظام الداخلى وقضية السلام أيضًا.(٨٠)

الثاني عشر من سبتمبر ١٩١٢ :

وصل اليوم وفد من مشائخ الزوايا السنوسيين من معسكر بنغازى ليعلنوا تأييدهم باسم كافة المشائخ. إن هذه المظاهرة الفريدة من نوعها ظاهرة حسنة لتأييدنا.

إن حصولى على رتل من السيارات هنا سيساهم في وصول البريد على وجه السرعة من السلوم إلى المعسكر وقد يستغرق ذلك يوما واحدا. وفي خلال عشرة أيام يمكنني أن استلم البريد القادم من أوربا عن طريق البواخر المصرية التجارية الأمر الذى جعلني في غاية البهجة والسرور.

السادس من سبتمبر ١٩١٢ :

بعد أن فرغت من اجتماع مطول ومفيد مع مشائخ السنوسية امتطيت صهوة جوادى يرافقني الملازم أول فون بنتهايم قائد فصيلة المدفعية الرشاشة وقمنا سويا بمعاينة الطريق الذى تم إنشاؤه حديثا ثم جلسنا تحت ظل شجرة وتجاذبنا أطراف الحديث عن ألمانيا وما أعجبني فيها.

لقد شرعت مؤخرا في بناء منزل لى هنا رغم أن الحديث الذى لاينضب معينه عن السلام يثير أعصابي وأخشي تأثيره على جنودى، إلا أن بناء هذا المنزل قد يسكت تلك

---

(٨٠) هو المشرع اليوناني القديم الذى وضع قوانين أثينا في القرن السابع ق. م واتصف بالعدل والصرامة.

الأصوات التي تتحدث عن السلام .[٨١] وهذا «القصر» سيكون بطبيعة الحال بدون نوافذ أو أبواب نظرا لعدم توفر الأخشاب والزجاج . أما عن الصحف الأخبارية الأوربية التي تصلني فلم أعد أقرؤها لأنها تضايقني كما أنني مشغول تمامًا هنا . إن ما يقلقني كثيرًا هي الأخبار الجديدة المتعلقة بتهجّم الوزير النمساوى علينا .

الخامس عشر من سبتمبر ١٩١٢ :

هذا اليوم عيد من أعياد المسلمين ، وقد بذلت جهودًا كبيرة في الاحتفال بهذه المناسبة . في الصباح وبعد صلاة العيد التي أقيمت في مكان أعد كمسجد تدافع نحوى العرب شيبًا وشبابًا لزيارتي وتقبيل يدى .

وقد كان تدخل رجال الشرطة أمرا لابد منه لإعادة النظام وإلا لكنت قد سحقت تحت أقدام المهنئين . وفي خيمتي التي جرى فيها كل شيء بانضباط جلست لاستقبال التهاني بمناسبة العيد من الضباط أولا ثم الشخصيات الرسمية ومشائخ القبائل المختلفة . وبعد هذه المراسم تدافع العرب على خيمتي في أسراب كالنمل من مختلف الأعمار أى من السادسة إلى سن التسعين . وكان الجميع ينحنون لتقبيل يدى وركبتي ورأسي . إنه من البساطة بمكان أن تدخل البهجة إلى قلوب هؤلاء القوم .

وعقب تناول الإفطار قمت بزيارة المرضى وعند العودة تكررت نفس مشاهد الصباح . وعند الظهيرة وزعت الهدايا والملابس على الأطفال .

الثامن عشر من سبتمبر ١٩١٢ :

قمنا فجر أمس بمداهمة مواقع الايطاليين المتقدمة إلى الشرق بمسافة حوالى عشرة كيلومترات . لقد كان من خطتنا أن نخترق القلب الايطالى ، وقد حققنا ذلك بنجاح واخذ الايطاليين على حين غرة إلا أننا لم نجن ثمار ذلك الانتصار نظرا لخطأ غير مقصود بتحرك جناحي جيشنا . فبعد معركة دامت ست عشرة ساعة كان علينا أن نتقهقر بيد أن الايطاليين لم يتعقبونا على الرغم من أنهم كانوا قادرين على ذلك . إن مدفعيتنا قامت بدور ممتاز للغاية ولو أن نتائج تلك المعركة لم تسفر عمّا كنت أتوقع .

إنني أدون ملاحظاتي في هذه الآونة بينما صراخ النساء وعويلهن الرتيب وهن ينعين

---

(٨١) لا تزال خرائب هذا المنزل موجودة في حلق الطنجى الوعر المسالك بوادى درنة .

أولئك الذين سقطوا في ميدان المعركة يتناهى إلى مسامعي . إنه من الصعوبة بمكان أن يعزل الإنسان نفسه عن هذا المحيط الجنائزى الحزين . ولعل من المناسب هنا أن أقتبس من ذلك المثل الألماني القائل « إن حياة الإنسان هى كل ما أنجزه » .

الواحد والعشرون من سبتمبر ١٩١٢ :

سأحاول هنا أن أقدم وصفا للمعركة الأخيرة .(٨٢) كان الجو هادئا قبيل الغروب والرياح هادئة حتى إن أوراق الأشجار كانت ساكنة ولا حراك لها . جاء إلى خيمتي حينئذ شيوخ القبائل وقواد الفصائل العسكرية ليخطروني بأن أفواج الجنود كانت على أهبة الاستعداد ، بل إن بعضهم قد تحرك بالفعل كفصائل المدفعية والمدافع الرشاشة ، تحرك أولئك مسبقا لكى يأخذوا مواقعهم المحددة لهم . وبعد ذلك صدر الأمر للجميع بالتحرك وعندما خرج آخر القواد من خيمتي سمعت أصوات حوافر خيولهم وهى تتلاشى شيئا فشيئا إلى أن اختفت تماما في الصحراء . أما قوات الميليشيا والضباط والشيوخ فلازلت أراهم وهم يمتطون صهوات خيولهم ويسيرون مثنى ويتبعهم الرجال وهم يسيرون أيضا أزواجًا حاملين على الأكتاف أسلحتهم من بنادق الموزر الجديدة وبنادق القربينة القصيرة وغيرها من القطع التي سبق الاستيلاء عليها من الايطاليين . ويضم هذا الحشد من الرجال بعض أولئك الطاعنين في السن بلحيهم البيضاء وهم يسيرون إلى جانب أحفادهم حاملين حجر الصوان للقدح .

ينقسم الجيش إلى مجموعات تشمل كل مجموعة عشرة جنود برئاسة ضابط صف وتصحب كل مجموعة امرأة تحمل على ظهرها قربة ماء وكيسا من الخبز على كتفها وكالعادة فإن هؤلاء النسوة يقمن بتشجيع الرجال بالزغاريد والصراخ العنيف .

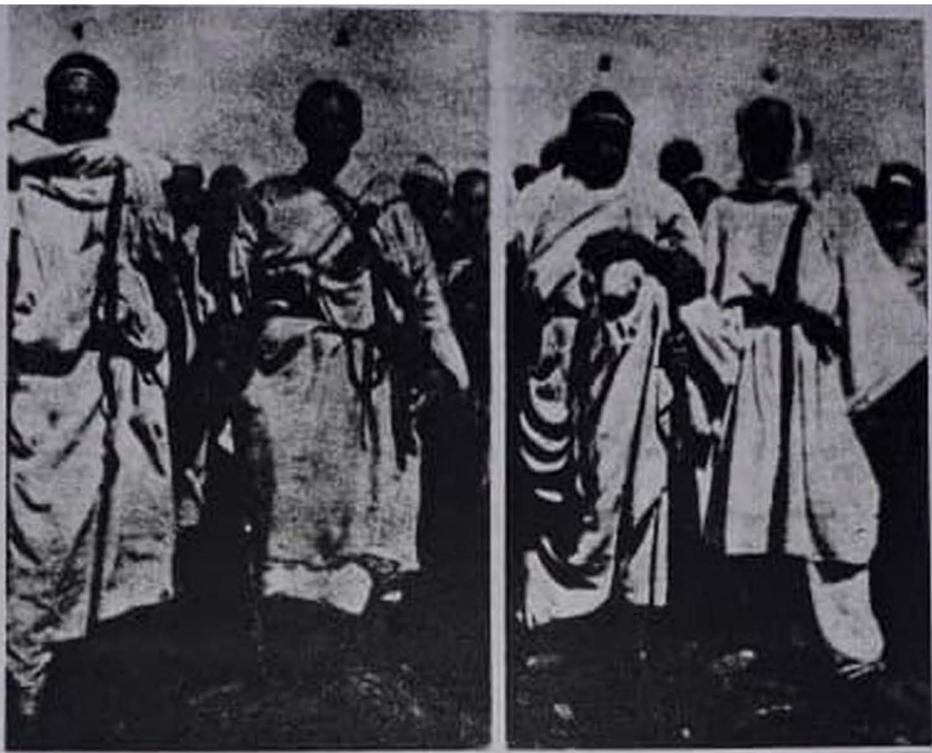
وفي الهزيع الأول من الليل امتطيت جوادى بصحبة مجموعة من المعاونين متوجهين شطر المعسكر الشرقي . وقد كانت السماء مرصعة بالنجوم الكثيرة ، ومن المضحك حقا في هذا المقام أن اشبه هذه السماء بقاعة الموسيقى المطلية في برلين . وبينما كان ركبنا يحث السير منحدرا مع أحد الشعاب المؤدية إلى وادى درنة مررنا على آخر مجموعة من العرب وهم يسيرون سيرا حثيثا ولما أدركوني وتعرفوا عليَّ أوقفوا فرسي وأخذوا يهتفون لى . وعند منتصف الليل وصلنا إلى خيمة قائد الفرقة الشرقية وهنا أمليت على الضباط الذين تجمعوا تفاصيل خطة الهجوم وتحدثت قليلا إلى مشائخ الزوايا مختتما ذلك بتلاوة آيات من القرآن تبركا به ،

---

(٨٢) يعني بها معركة قصر اللبن أو القرقف خليفة محمد التليسي . معجم معارك الجهاد الليبي ، ص ٤٣١ .

وأعقب ذلك قليل من الدردشة ، ولم تلبث أصوات حوافر الخيول أن تلاشت فخيّم سكون مطبق . وبعد أن تحدثت هاتفيا مع كافة قواد الفصائل المختلفة اتضح لى أن كل شيء كان على ما يرام فركبنا خيولنا لكى نأخذ مواقعنا في المعركة إلى جانب الجناح الأيمن حيث فصائل المدفعية . وحتى هذه اللحظة مضى من الليل أربع ساعات . ما زلنا نسمع ضوضاء المعاول ومجارف رجال مدفعيتنا . إنهم لا يزالون يعملون على تثبيت مدافعهم ووضع الحواجز الواقية ، وعلى مقربة كان يقف مشائخ القبائل الذين كانوا يرافقونني وكانت — عباءاتهم البيضاء تسطع في الظلام. كانت ساعة الصفر الخامسة صباحًا، وعندما تطلعت إلى ساعتي وجدتها الخامسة إلا بضعة دقائق وعند الخامسة تمامًا كان رجال المشاة على أهبة الاستعداد وبدأت المدافع الرشاشة تدك نيرانها ناحية الجناح الأيمن معلنة بذلك بداية المعركة . وبعد لحظات قلائل ردت علينا المدفعية الايطالية بعنف شديد ولا يستطيع الإنسان في هذه اللحظات أن يميز أى شيء سوى انفجار المدافع ولذا كان يمكن تتبع سير المعركة فقط عن طريق مشاهدة النيران وأصوات مدافع المشاة . وبعد ربع ساعة توقف كل شيء نسبيا وقد استنتجت من ذلك أن رجالنا قد غزوا مواقع العدو . وقبيل طلوع الشمس فتحت مدفعية مشاتنا نيرانها على الحامية الإيطالية الصغيرة التي تواجهنا ، ولمعاينة الموقف فإنني ذهبت عند بزوغ الشمس تماما متقدما لمراقبة الموقف فلاحظت أن كل شيء على مايرام وخاصة في القلب وشاهدت أن المواقع الإيطالية قد اخترقت من قبل قواتنا وأن الجناح الايمن من قواتنا نكص على أعقابه إلى موقع الخط الإيطالى الأول الذى أصبح الآن يقع خلفهم ، وقد هرعت سريتان من الحرس مزودتان بمدفعين رشاشين لمساندة الجناح الأيمن المتقهقر فتمكنتا من إيقاف العدو . أما الجناح الأيسر فقد اتضح أنه في خطر هو الآخر نتيجة لغلبة وقوة العدو الفائقة . وعند الظهيرة استجمع جيشنا قواه مندفعا إلى الأمام في هجوم كاسح محاولا إثبات وجوده أمام العدو . وقد استطعت من المكان الذى كنت واقفا فيه مراقبا سير المعركة أن أرى مواقع الضعف والقوة وتأرجح المعركة والكر والفرّ من جانب إلى آخر وبينما كنت كذلك ، إذ بشظية قذيفة من البطارية الايطالية التي لازالت حتى الآن تدك مدفعيتنا ، تسقط بجانبي . وعندما التفت محاذة رأيت هيئة المعاونين لى يقفون خلفي مخالفين بذلك تعليماتي لهم لأنهم سيكونون بذلك هدفا سهلا للعدو ولكننا لم ندخل البهجة إلى صدور الأعداء بمغادرتنا لذلك المكان رغم تساقط القنابل أمامنا

لقد تمكن العدو من السيطرة على ميمنة جيشنا . الأمر الذى حمل رجالنا ينسحبون مبدئيا إلا أنني سرعان ما أمرت القلب بالتحرك تجاه الميمنة التي التحمت معه على الفور وبذلك التحرك السريع اضطر العدو إلى إيقاف هجومه أما الميسرة فقد تمكنت من التحرك الجرئ إلى مواقع جديدة بدون أن يجرؤ العدو على مشاكستها لقد أخذ العياء



تشمل هذه الصورة حسب تسلسل الأرقام كلاً من :
١ ــ الشيخ عمران البرعصي .
٢ ــ الشيخ المبروك كبير مشائخ البراعصة أبطال الجبل الأخضر .
٣ ــ الشيخ أبو الجارد أكثر مشائخ البراعصة جرأة وشجاعة .
٤ ــ الشيخ أيوب الحاسي .

والإرهاق يدب إلى جسمي ولذا فقد استلقيت على الأرض ونمت لمدة ساعة نوما عميقا .

وقبيل الغروب بينما أخذنا نعدو بخيولنا نحو الميمنة سرعان مالاحقنا العدو بوابل من نيرانه . لقد وقف رجالنا على بعد حوالى مائة متر أمام مواقع الايطاليين بعد أن اضطروا إلى مغادرة الخنادق الايطالية التي استولوا عليها مبكرا . واتضح أن هذا الموقع الجديد لرجالنا غير مأمون نظرا لتعرضهم لقصف السفن الايطالية من البحر ومهدَّدة من قبل قوات إيطالية أخرى أنزلت على الشاطىء إن الهجوم الذى كان له أن يتكرر في ساعات الغروب لا يبشر بنجاح يذكر . فبالاضافة إلى ذلك اتصل بي هاتفيًا قائد القسم الغربي من جيشنا معلنا أن القوة الرئيسية للعدو والتي تقدر بفيلق تقريبًا بدأت تتكتل أمام ميمنة جيشنا . فلهذه الأسباب وجدت نفسي مضطرا لإنهاء المعركة وأعطيت أوامرى بنقل الجرحى والقتلى والانسحاب تحت جنح الظلام . إنه كان يوما دمويا حقا وإن صفحة جديدة من تاريخ هذه الحرب قد سطرت . وقد استمرت نقاطنا الأمامية تناوش العدو أثناء انسحابنا ، ذلك العدو الذى واجهناه وجيشه يتألف من أربع وعشرين كتيبة وأربعة مدافع ميدان ومدافع

جبلية ، لم يتجرأ إطلاقا على اعتراض عملية الانسحاب التي قمنا بها وحتى اليوم لم يعد للعيان فياليتنا نمتلك عتاده وقوته !! فبالرغم من كل ذلك فإن مدفعيتنا وقفت في وجه مدفعية أكثر منها قوة عشر مرات وأسكتت منها عدة بطاريات . إن خسائرنا في الأرواح وصلت إلى مائة وخمسة وثمانين جريحا وثمانية وتسعين شهيدًا . ومن سوء الحظ أن هذه المعارك لا أثر لها أبدا على نهاية الحرب .(٨٣)

الثالث والعشرون من سبتمبر ١٩١٢ :

إن ما يضايقني الآن بالإضافة إلى مشاكلي الراهنة مواقف السلطات المصرية فبينما كنت أنتظر المال فإنني استلمت ردًا بأنهم قد صرفوا خمسة عشر ألف جنيها تركيا المخصصة لي في هذا الشهر مما أغضبني أشد الغضب فيالهم من سفهاء . ولكي أعوض هذا النقص فإنه على مرة أخرى أن أطبع سندات ورقية . ولحسن الحظ فإن سمعتي الحسنة بين العرب لم تتزعزع . حقًا انني في بعض الأحيان لا أعرف تماما ما إذا كنت صاحب مصرف أم قائدا عسكريا ، فهنا أكثر مما هو في أى مكان آخر على المرء دوما أن يكون متأهبا لكل المهام . ولكى أرفع من قيمة سنداتي الورقية فإنني اتخذت مرة أخرى إجراء جديدا . إن المكتب الحكومى الرئيسي للشئون المالية « التركية » يتولى إلى جانب مسئولياته مهمة المصرف التجارى . ومن إجراءات هذا المكتب المالية أنه على كل من يود أن يرسل أى مبلغ مالى إلى مصر أو أى مكان آخر أن يودعه في خزانة قائد المنطقة التي يوجد بها وعلى قائد تلك المنطقة أن يعلم رئيس خزانة الدولة الذى بدوره يحيل الأمر إلى وزارة المالية أو وزارة الحربية التي تخطر بدفع تلك المبالغ لحسابنا . ونظير هذه الخدمات كان على الزبون أن يدفع نسبة محددة قيمتها نصف في المائة عن المبلغ المرصود . وبهذا الخصوص فإنني أصدرت تعليماتي بأن على كل من يودع مبلغا من المال بسنداتي الورقية فإنه لن يدفع تكلفة الخدمات المذكورة وهى

---

(٨٣) يعد هذا اعتراف صريح من جانب أنور باشا بهزيمته في موقعة رأس اللبن التي وقعت في يوم ١٧ سبتمبر ١٩١٢ ومن الظاهر أن الخطة العسكرية التي رسمها أنور باشا لم تطبق كما أريد لها ، وقد أثيرت هذه القضية في الأشعار الشعبية التي قيلت في مناسبة معركة رأس اللبن منددة بالإهمال والتهور فقال الشاعر حسن يوسف بونظارة .

« رأس اللبن صار فيه الملاقا وحمين أسواقه جميع من حضر فيه فاقد رفاقه

فيه صارن دباير واغزل غزل باير لكن اللى كاتبه الله ساير » .

يذكر أنور باشا أنه خسر في هذه المعركة مائة وخمسة وثمانين جريحا وثمانية وتسعين قتيلا . ويذكر أن خسائر الجانب الايطالى كانت حوالى ثمانمائة بين جريح وقتيل . أما المصادر الايطالية فإنها تقول عن خسائر جيش أنور باشا في هذه المعركة بأنها كانت ١١٣٥ قتيلا . انظر التليسي ، معجم معارك الجهاد الليبي ص ١٣١ .

نصف في المائة . بينما الذين يحضرون مبالغ من الذهب كوسيلة دفع فإن عليهم أن يستمروا في دفع ضريبة ضئيلة جدا . والخلاصة المرجوة من هذا الإجراء أن تنال سنداتي الورقية أفضلية ملحوظة في المعاملات التجارية .

أخطرني كبير موظفي الجغبوب بأن سيدى أحمد الشريف شيخ السنوسية الكبير يشاطرني آرائي القائلة بأنه في حالة تخلى الحكومة التركية عن هذا الجزء من البلاد فإنني وإياه سنواصل الحرب .

كان يجنح بي الخيال من حين إلى آخر وفي هذا المساء طاش بي بعيدا ، فعشت مع ذكرياتي أثناء إقامتي في أوربا محدثا نفسي بأن حياتي هنا ربما كانت أكثر بساطة وسهولة لو لم أكن قد اطلعت على الحضارة الأوربية ورقتها . هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن النهج الذى يسلكه الأوربيون في تفكيرهم يمنح المرء دوافع نفسية فعالة ، الشىء الذى ينقصنا نحن في هذه الصورة . فالبدو الذين ليست لهم مطالب ويقتنعون بالنزر القليل فإذا ما تسربت إليهم تلك الحضارة فإنهم بلا ريب سيفقدون مزاياهم الطيبة وستتدهور أخلاقهم كلية وسوف يكونون تعساء لأنهم سيعجزون عن سد هوة عميقة بين ما يطمحون إليه والواقع المعاش ، وستلازمهم هذه التعاسة كضرورة حياتية بل كوباء حضارى لن يتم الشفاء منه أبدا . فالحضارة الأوربية إذن داء وبيل يدعو إلى الأرق المستمر الذى لا يمكن للمرء أن يذوق معه طعما للنوم . فإذا ما أغمضت الطرف فإنك تشعر بدنو المنية منك . إن ما يميز الأوربيين عنا هو أنهم بالإضافة إلى ما عرفوا به من الفهم والمعرفة فإن نظرتهم إلى مشاكل الحياة أكثر منا بساطة . أما نحن فإننا إذا مانلنا قسطا من الفهم والإدراك فإن الحياة تبدو أمامنا أكثر صعوبة مما هى عليه في واقع الأمر وخاصة عندما نحيد عن مبادئنا التقليدية . أما العرب الذين معى فإنهم بطبيعة الحال في غاية الرضاء والقناعة يعزفون المزمار ويرقصون ويضربون الدفوف ويغنون غناء مفعما بالحيوية .

تلقيت اليوم أول خبر من درنة « بعد المعركة الأخيرة » . إن خسائر الايطاليين كانت أكبر من تقديراتي لها ، إذ تجاوز عدد القتلى والمصابين بجروح بالغة الخطورة ثمانمائة شخص وأن الايطاليين تمكنوا من تحديد موقع الجرحى الذين تركناهم والبالغ عددهم اثنين وعشرين جريحا . ولما كانت الغالبية العظمى من أولئك الجرحى ينحدرون من قبيلة الحاسة القاطنة في هضبة برقة المرتفعة ، فإن الايطاليين بعثوا إلى هذه القبيلة وسيطا لتخبرهم بأن جرحاهم يمكن أن يطلق سراحهم إذا ما توقف الحاسة عن القتال وعادوا للاهتمام بقطعانهم إلا أن رد الحاسة كان كما يلى : « إنكم جئتم لتدمروا أرضنا وتدنسوها ، أما نحن فلا نطيع إلا أوامر الله والسلطان ، ولذا فإننا عزمنا الرأى على قتالكم . إن السجناء الذين بين أيديكم قد اعتبرناهم في عداد الموتى لأننا بكيناهم ونعيناهم وقضي الأمر . وسواء أطلقتم سراحهم

أم أبقيتموهم في أسركم فإننا سنواصل قتالكم ولو لم يبق من قبيلتنا إلا رجل واحد قادر على حمل السلاح . إننا ننصحكم على أية حال أن تعاملوا أسرانا بإحسان ولا تنسوا أن لكم أسرى بين أيدينا ».

إنني حقا جد فخور بأن أقود أمثال أولئك الرجال وأن يتاح لى أن أقاتل بين ظهرانيهم .

لقد اشتريت بسنداتي المالية عشرة آلاف جنيه تركى بدون عمولة ، ومن المحتمل أن تركيا لم تفكر حتى الآن في مناقشة مثل هذا النمط من القروض الداخلية . أنه يبدو لى أنني بدأت أنهج أسلوب السيدين هيلفرغ وكارك فرستنبرغ في تجميع القروض الداخلية إن لم أكن قد أصبحت منافسا لهما . (٨٤)

السابع والعشرون من سبتمبر ١٩١٢ :

إن التلاميذ الصغار بدأوا في تلقي قليلاً من التمرينات العسكرية إلى جانب واجباتهم المدرسية وأخذوا يتدربون على إطلاق النار كل يوم جمعة . ومن ناحيتي فإنني راض تمام الرضا على محاولات التدريب الجارية ، وقد وقع اختيارى على ثلاثة وعشرين من صغار أبناء شيوخ العرب الذين سوف يبعثون إلى مدرسة ثانوية في اسطنبول على حساب الدولة . وإضافة إلى ذلك فإن ثلاثين صبيا سينضمون إلى مدارسنا الحربية آملا من ذلك خلق جيل سيتولى مهمة العمل الذى شرعت فيه هنا بأسلوبي الخاص .

الثامن والعشرون من سبتمبر ١٩١٢ :

غدا سيتم حول كامل منذ أن أعلن الايطاليون الحرب علينا . وفي البداية كنت في ذلك الوقت أعتقد أن موقفنا ميؤوس منه ومن ثم فلا مفرّ أمامنا من الفشل الذريع . فهذا البلد وسكانه كانوا بالنسبة لى مجهولين تماما . فقواتنا هنا كانت لا تتجاوز ثلاثة آلاف جندى مسلحين تسليحا سيئا ومعنوياتهم خائرة تماما وتحت قيادة جنرال غير مؤهل وأن هذا الجيش كان موزعا على جبهة طولها ثلاثمائة كيلومتر تقع في دواخل بنغازى وأن كافة مخازنه وقعت في قبضة العدو .

(٨٤) يتضح أن هذين السيدين الألمانيين كانا يهتمان بالشئون الاقتصادية وأول من بدأ هذا النمط من القروض الداخلية .

وفي اسطنبول فإنهم لم يوافقوا على مجيئ هنا ، فوزير الحربية أخبرني بأنه لافائدة من قدومي ومن العار أن أضحى بنفسي في سبيل لا شيء طالما أن القضية خاسرة ، إلا أنني أوضحت له باختصار شديد « أنني أريد أن آخذ بيدك لكي يصان شرف الامبراطورية ، وإذا قضيت نحبي بدون أن أنجز أى شيء فيمكنك حينئذ أن تتعلل للعالم الإسلامي بأنك بعث ضابطا كفؤا من وجهة نظرك غير أنه فشل في تحقيق مهمته ، لأن الأعراب هناك قتلوه وسلبوا مامعه » وذلك لأن الوزير حذرني بأن البدو سيقتلونني ويستولون على مامعى وهاأنذا بعد عام انقضى لم تتحقق هذه النبوءة .

إن الايطاليين غاضبون غاية الغضب مني ، وقد جمعوا أكثر من جيش لمواجهتي في درنة ، ومع هذا فقد استمررنا في خداعهم لو أن هذه الحرب كانت حرب تحركات فقط وليست حرب حصار قلاع في الوقت الذى لا تتوفر فيه لنا التجهيزات الكافية .

إنني مدين لذلك الصديق الذى أوصاني ذات مرة بألا أفقد توازني أمام الآخرين . ويبدو أنني قد حفظت هذه الوصية عن ظهر قلب واستطعت بها أن أتجاوز كثيرا من الملمات الصعبة . فالعرب والضباط العاملون معى بل حتى رفاقي المنافسون لى أصبحوا جميعا أدوات طيعة فلم يترددوا في مد يد العون إليّ بسبب ما أظهرته أثناء تعاملي معهم ، من الهدوء النفسي والتوازن اللذين أكد لى ذلك الصديق بأنهما شيئان أساسيان لاغنى عنهما .

ينبغي أن أنتهز الفرصة هنا لأعرب عن إعجابي الشديد ببساطة النساء البدويات وتواضعهن واحتمالهن وقوة شخصياتهن وشجاعتهن . أما فيما يتعلق بجمالهن فإن إعجابي بهن بطبيعة الحال أدنى درجة . وبعد أن حصلت على مرسوم فإنني أذنت للضباط بالزواج من النساء العربيات هنا . وكما احتلت المرأة الغربية مكانها في الحياة الاجتماعية فإن يوما سيأتي وتحتلّ فيه نساؤنا أماكن مرموقة بغض النظر عن كون ذلك التغيير حسنا أم سيئا . ومما يميز نساءنا عن الغربيات مامنحته لهن الشريعة الإسلامية في علاقتهن مع الرجال على نقيض ما يحق لأخواتهن في الغرب . ولسوء الطالع فإن نسبة ضئيلة من النسوة هن اللاتي سيستفدن من مزايا الحياة الاجتماعية الجديدة . أما السواد الأعظم منهن فسيقاسي من تلك الحياة تماما كما يجرى لنساء الطبقات الدنيا وجزء من نساء الطبقة المتوسطة في أوربا . وطالما أن أوربا متفوقة علينا في مضمار الحضارة ونحن نقلدها بالضرورة لكى نواكبها حضاريا فإن مساوئ وعيوب تلك الحضارة سوف تجد طريقها إلينا . ونأمل أن نكون من اليقظة والوعى بمكان ليحتفظ نساؤنا بشيء من تقاليدنا العتيدة « كى يواجهن بها مزالق » الحياة الجديدة إن شاء الله .

إننا نناوش العدو باستمرار وإن كانت هذه المناوشات غير حاسمة إلا أنها منهكة لقوى الايطاليين ، الأمر الذى جعلهم يتحاشون لقاءنا ولقد تأكد ذلك من تصريحات أسراهم لنا

من أن الجند والضباط الايطاليين مازلوا منذ فترة طويلة ينامون وهم في زيهم العسكرى وأنهم لا ينعمون بعشر ماننعم به نحن من الراحة والاستجمام .

يدور في ذهني أحيانا شعور معين بأنني لست شيئا سوى جندى يرى الأمور بمنظار عسكرى . وكم تمنيت في بعض الأحيان أن أكون شاعرا لأفصح عما يجيش في نفسي من خواطر وأحاسيس وقد تمرّ بي لحظات تكتنفني فيها شطحات أدبية مغلفة بروح شاعرية . وفي غمرة هذه الأحاسيس تعتريني حالة نفسية غاية في السمو . تلك اللحظات هى التي اتخذ فيها أعظم قراراتي .

وصلتني برقية من وزير الحربية يخبرني فيها عن التعبئة العسكرية في ولايات البلقان ، وكذلك فيما يخصّ التعبئة العامة عندنا . وطبقا لقناعته الشخصية فإن قضية الدفاع عن برقة تقع أولا وأخيرا على عاتقي . ورغم أن الوضع يبدو غاية في التعقيد إلا أنه لا يساورني أدنى أمل بأن النصر سوف يكون حليفنا في نهاية المطاف .

الرابع من أكتوبر ١٩١٢ :

استلمت اليوم برقية من أحد الرفاق القدامى في « الجمعية » والذى أخبرني بوصول وتفريغ شحنة كبيرة من الذخائر والبنادق في مكان مأمون . وفي طرابلس أيضًا وصلت كميات كبيرة من الذخائر والمؤن . لقد كان لهذه الأخبار وقع حسن في نفسي وأهمية قصوى في الدفاع عن البلاد .

منذ الدّك الليلي الأخير الذى قمنا به لمدينة درنة والحركة فيها مشلولة تماما ويكتنفها الغموض ، إذ لم يشاهد فيها منذئذ بريق ضوء ولا وميض نار . فلا يكاد يحس المرء فيها بشيء سوى الأصوات المكبوتة لسكانها البالغ عددهم عشرة آلاف نسمة والأربعين ألف إيطالى . ولابد أن أولئك جميعا يحسدوننا على ماننعم به من حرية التحرك . فبالرغم من كثرة عددهم وتفوقهم التكنولوجى إلا أنهم يطمرون أنفسهم وراء قلاعهم . لقد اكتشفت في المعسكر صائغا عربيا وهو يعمل الآن على تصميم حلية ذهبية .[٨٥]

في الوقت الراهن كل شيء في بلادى على وشك أن يلتهب ونحن يداهمنا الخطر من

---

(٨٥) انتقل أنور باشا انتقالا مفاجئا من حديثه عن الحربية التي كان يعم بها جووده إلى ذكر هذا الفنان العربي الذى كان يعمل معهم في المعسكر . فقد جاء ذكر هذا الفنان اعتراضيا وبدون تقديم وقد يفيد هذا بأن جزءا من رسائل أنور باشا قد وصل إلى المترجم الألماني ناقصا .

كل مكان الأمر الذى يجعلني أتنبأ باضطرام أوار حرب كونية . فإذا لم تتدخل كل من النمسا وألمانيا كوسيطين فإن الحرب ستشتعل في البلقان ومن يدرى ما تكون عواقبها ؟ وكيف لى ألا أتحسر على عدم وجودى في أخطر ثغرة يطل منها على أرض الوطن خطر فادح ؟

استلمت برقية منذ قليل وطبقا لما ورد فيها فإن الايطاليين قد أنزلوا كتيبة في خليج بومبة ومن ناحية أخرى فإنهم أنزلوا أربع طرادات حربية في سوسة وكم أنا شغوف لمعرفة ما يدور في أذهانهم .

علمت أن وفدا خاصا في طريقه إلينا من قبل سيدى أحمد الشريف شيخ السنوسية الكبير . إن هذا الوفد يحمل إليّ تمنيات ذلك الشيخ العظيم الطيبة مرفقة ببعض الهدايا وهى عبارة عن جاريتين وعاج وماشاكله . يا إلهى ماذا سأفعل بهاتين الجاريتين السوداوين ؟ وعلاوة على ذلك فإنه بعث لى ببندقيته الخاصة مشفوعة بتبريكاته .

التاسع من أكتوبر ١٩١٢ :

حدث في هذا اليوم اشتباك استمر طوال اليوم بدون انقطاع وكذا الأمر أثناء الليل إذ لم تتوقف المدافع عن القصف أبدا .

العاشر من أكتوبر ١٩١٢ :

منذ ثلاثة أيام على التوالى والهجوم الإيطالى العنيف لايزال مستمرًا. لقد تقدموا حتى الآن مسافة خمسة كيلومترات جنوبي الخط الذى تراجعنا عنه غير أن هذا الزحف قد توقف وأخذوا في النكوص إلى مواقعهم السابقة . لقد فقد الإيطاليون في هذا الهجوم العديد من القتلى ومن بينهم كما يتضح من بطاقات الهوية عدد كبير من الضباط .

الثاني عشر من أكتوبر ١٩١٢ :

إن القضية الطرابلسية بأسرها أصبحت مسألة شرف بالنسبة لى . فقد تزعمت العرب ، رجالا ونساء وأطفالا ضد العدو وقطعت لهم وعدا بأنني لن أتخلى عنهم حتى ولو استسلم السلطان . فمن ناحية أصبح من الصعوبة بمكان بل من المستحيل عليّ الآن أن أترك هؤلاء القوم البواسل نهبا للايطاليين ، ومن ناحية أخرى فإن وطني الأم يتعرض لطامة

كبرى . ولكن مرة أخرى أسأل نفسي هل أصبح العرب أكثر مني وفاء وإخلاصا ؟ ألبس من الجبن ألا أفي بوعدى لهم ؟ فما العمل إذن خاصة وأن الحرب قد اشتعلت في « مونتينجرو » الجبل الأسود وستعقبها تباعا بقية دول البلقان وفي خاتمة المطاف ستؤدى هذه الحرب إلى تعقيدات في القارة الأوربية وعندئذ ماذا سيعني قتالنا للايطاليين . إن مصير رفاقي البدو ايضا سوف يتقرر في نهاية المطاف من مكان آخر .

أخبرني مؤخرا جاسوس عربي بأن الايطاليين منذ شهر مضى أعلنوا مكافأة مقدارها مائتي جنيه استرليني لمن يقتلني ، وعندما لم يقدم أحد على اغتيالى فإنهم الآن يعرضون مبلغا من المال قدره تسعمائة جنيه استرليني . ويبدو كما لو أن الايطاليين وجدوا الآن رجلا سبق له وأن اشتغل في شرطتنا « الجندرمة » قبل بداية الحرب ، ليقوم بذلك العمل . إن الايطاليين يبدو أنهم لا يدركون أنني لو أردت أن أجتث رؤوس الجنرالات الخمسة المتواجدين بدرنة لفعلت ذلك في خلال يوم واحد بالرغم من الحماية المفروضة حول حصونهم . لا يزال رجالى يؤدون واجباتهم على أحسن الوجوه . إن عائلة واحدة كبيرة لم يبق منها سوى الأب ، أما الأولاد والأصهار فقد سقطوا واحدا تلو الآخر في سبيل الواجب . وعندما قدمت التعازى إلى ذلك الوالد رد قائلا : « إنني سعيد وفخور لأنهم سقطوا في ميدان المعركة في سبيل الدين والوطن » .

الرابع عشر من أكتوبر ١٩١٢ :

تسلمت الآن آخر ما وصل من الصحف الأخبارية الايطالية التي تحمل أخبارا عن المعركة . إنهم حرفوا كل شيء ولكنه ليس من المجدى أن نستطرد في ذلك . أما الأسلوب الذى انتهجوه في مهاجمتي شخصيا فإنه خسيس ومزر ومن الواضح أنني أشكل خطرا جسيما عليهم . وعندما لم يجدوا فيّ مسبة فإن أولئك الخصوم الأوباش أسرفوا في انتقاء الشتائم والسباب تشفيا تماما كما يفعل الطفل الأحمق .

السادس عشر من أكتوبر ١٩١٢ :

نأمل أن تتضح الرؤيا أمامي قريبا إزاء السياسة التي سأتبعها وأن أعرف فيما إذا سأبقى هنا أو أعود إلى الوطن . وفي غضون الأيام القليلة القادمة أتوقع وصول وفد الشيخ السنوسي ولعل التشاور معهم سيسفر عن قرار ناضج ومفيد .

السابع عشر من اكتوبر ١٩١٢ :

لم تصلنا أخبار من اسطنبول ولكن حسب تقارير الصحف البريطانية أنه بالإمكان تفادى حرب عامة في البلقان . إن القوتين المتنافستين وهما روسيا والنمسا لا تزالان تعملان على فرض تأثيرها . فالنمسا بمخططها الرامى إلى اللامركزية قد يساهم في وضع حدلتوسيع شقة الخلاف في البلقان . أما روسيا التي كانت في بادئ الأمر تساند دول البلقان الصغيرة فإنها الآن انتهجت سياسة كبح جماح هذه الدول بالإضافة إلى دول الحلف الثلاثي واعدة إياهم بنمط مبسط من اللامركزية وإصلاحات جوهرية لن ينالوا أكثر منها حتي في حالة الانتصار في الحرب .

الثاني والعشرون من أكتوبر ١٩١٢ :

خطاب إلى صديق :

أحاطني علما يوم أمس القائد الايطالى في خطاب له عن أخبار السلام الذى تم التوصل إليه . وتلا ذلك برقية عند المساء من وزير الحربية يأمرني فيها بايقاف كل عمل عدائي طالما أن حضرة السلطان صدّق على اتفاقية السلام . ولك أن تتصور ما يدور في مخيلتي في هذه الآونة ، ولكى اتخذ قرارا لارجعة فيه عليّ أن انتظر وصول وفد سيدى أحمد الذى سيصل اليوم . لقد اتخذ القرار بأننا سنواصل الحرب .

وطبقا للبرقيات التي استلمتها مؤخرا من وزير الحربية اتضح أن الحكومة قد فقدت بشكل واضح الأمل نهائيا في هاتين المقاطعتين.(٨٦) ومن ثم فإننا سنترك هؤلاء القوم الشجعان البواسل ليواجهوا هزيمة محققة أمام عدوهم الشره بعد أن ناضلوا عاما كاملا بنجاح جنبا إلى جنب مع زوجاتهم وأطفالهم . إنني الآن أصبحت نهبا تتقاسمني نوازع نفسية لا يمكن وصفها ، لأنني أنا الذى دعوت هؤلاء القوم للحرب واعدًا إياهم مساندة الوطن الرؤوم وهأنذا أتركهم يواجهون قدرهم لوحدهم . فمن ناحية لا يمكنني أن أسلم هذا القطر ومن ناحية أخرى لا أستطيع ولا لحظة واحدة أن أترك الوطن الأم في موقف حرج وهو في أمس الحاجة إليّ . وعليه فإنني سأقيم هنا دولة صغيرة مستقلة ، أما فيما يتعلق بالحرب في البلقان فإنني لم أفقد الأمل على أننا سوف نهزم هذه الدول ومن ثم نوجه اهتمامنا لإعادة بناء صروح الامبراطورية داخليًا .

---

(٨٦) يعني مقاطعتي طرابلس وبرقة .

لقد قمنا بواجبنا هنا على أحسن الوجوه غير أن الحكومة الجديدة بعثت بكل شيء أثناء موافقتها على اتفاقية سلام مخزية ومشينة منطوية على حروب جديدة مجهولة العواقب إن هذا ما ستؤدي إليه تلك الاتفاقية .

الرابع والعشرون من أكتوبر ١٩١٢ :

من المؤسف أن يكون المرء بعيداً عندما تتدافع الأحداث واحداً بعد الآخر في الوقت الذي أخذت فيه الأمور تسير في مزلق لا يدرك عقباه . وينبغي علينا أن نسلك الآن موقف الدفاع في كافة الجبهات ماعدا الجبهة البنغازية حيث يجب أن نتقدم . وقد اتخذت في هذا الصدد قرارا بإخلاء طرف عدد من الضباط العاملين معي لكي يتمتعوا بعد العودة بملابسهم عند عودتهم .

بعث يوم أمس الأول أحد مساعدي كوسيط لدى الإيطاليين بقي معهم يومين وقد لاحظ أن روح الانضباط قد انحدرت بين العساكر الإيطاليين بشكل ملحوظ عقب سماعهم لأنباء اتفاقية السلام . فالجنود لم يعودوا يحيون حتى جنرالاتهم التحية العسكرية الأمر الذي ترك بينهم انطباعا سيئا . وقد بعث لي بعض الضباط الإيطاليين الذين سبقت معرفتي بهم في برلين ، بعثوا لي بتحياتهم محاولين تجديد معرفتنا السابقة . ولكنني أرى أن هذه المعرفة لاتدعو إلى المسرة خاصة بعد الهجوم الإيطالي الغادر .

السابع والعشرون من أكتوبر ١٩١٢ :

ذهبت اليوم إلى نقاطنا المتقدمة حيث كان في انتظاري ضابطان إيطاليان أحدهما رئيس أركان القوات الإيطالية بدرنة والذي تحدث لي عن تصوره لانسحاب القوات التركية من برقة . إنني استمعت له بتيقظ ، إلا أنني أخبرته بعدم استلامي لأية تعليمات في هذا الشأن ومن ثم فإنني لا أستطيع اتخاذ أي قرار ما كما أكدت له بأنني سأحيطه علما فور استلامي لمثل هذه التعليمات .

كما استلمت اليوم برقية من وزير الداخلية تحمل إليّ أنباء هزيمة أربع فرق عسكرية من الصرب في موقعة كومانوفو Kumanowo ولقد كان لهذا الخبر وقعا حسنا في المعسكر ونأمل المزيد من الأنباء السارة من الجبهات الأخرى في القريب العاجل وإلا فإن الأمر سيظل مبرحا .

الثلاثون من أكتوبر ١٩١٢ :

تلطف الايطاليون اليوم فبعثوا لى بأعداد من الصحف الأخبارية الصادرة حتى يوم السادس والعشرين . ويبدو أن الوضع في روملى أصبح غاية في الخطورة بالنسبة لنا ولذا فلا يمكنني أن أقف موقف المتفرج إزاء هذا الوضع المتدهور الذى أضحى لايطاق . وعلى الرغم من كل الوعود التي سبق وأن قطعتها على نفسي للعرب إلا أنني سأعود إلى اسطنبول بأسرع ما يمكن إذا ما أخذت الحرب مسارًا في غير صالحنا . إنني اشعر بكآبة عميقة وخيبة أمل دفينة لأنه قدر لى أن أبقى هنا دون القيام بأى دور فعال .

الواحد والثلاثون من أكتوبر ١٩١٢ :

منذ أربعة أيام مضت لم استلم أى تقارير من اسطنبول ومن الواضح أنني أصبحت نسيا منسيا لدى وزارة الحربية . فالايطاليون أيضا ينتظرون ردا يتعلق بإجلاء القوات التركية . ولعل انشغال وزارة الحربية مرده إلى وقوع معارك حامية الوطيس هناك والتي نأمل أن تضع حدا لهذه الحرب .

الثامن من نوفمبر ١٩١٢ :

هناك إشارات ترد من حين إلى آخر في الصحف الأخبارية يمكن أن يستنبط منها بأن هذه الحرب ماهى إلا شكل آخر من الحروب الصليبية ضد الإسلام في القرن العشرين .

الخامس والعشرون من نوفمبر ١٩١٢ :

لقد آل ذلك البرعم إلى الذبول بعد أن دبت فيه الحياة ، ومن ثم فإنني سأغادر مملكتي برقة بعد أن أصبحت لها مكانة خاصة عندى.(٨٧) فعندما تسلمت مهام عملى هنا مارست سلطات واسعة وهآنذا الآن عائدا إلى اسطنبول لأعمل وكأنني ملازم أول . وطبقا للبرقية الواردة إلينا من اسطنبول فإن من سيبقى منا هنا سيبقى على مسئوليته . أما من جانبي على الأقل فقد مهدت السبيل لضمان استمرارية النضال . وقد يفسر خصومى هذا

---

(٨٧) يقصد بالبرعم هنا ما أنجزه أنور باشا في برقة من تأسيسه لجيش وطني متماسك وحكومة محلية ومدارس وطرق وأنظمة مالية .



الآباء وهم يحتفلون بتخرج أبنائهم ١٩١٢ .

القرار بطريقتهم الخاصة فيجدون فيه فرصة سانحة للافتراء عليّ وتشويه سمعتي ولكن سوف لا أهتم بذلك فكل همي خدمة بلادى في أى مكان تبدو الحاجة فيه إليّ أكثر مساسا .

وفي عشية مغادرتي وصل من بنغازى التلاميذ الذين نويت إرسالهم إلى المدارس التركية في اسطنبول وقد أدوا أمامي النشيد الوطني . وعند سماعي لأنغامهم وهم ينشدون دار في خلدى مدى بشاعة أن نسلّم هذه الأرض وأهلها العظماء ولم أتمالك نفسي إزاء هذا الموقف فاغرورقت عيناى بالدموع .

لقد كان كل شيء هنا على وشك التفتق والازدهار ، وما أنجزناه في غضون عام واحد من العمل الدؤوب أضحى يبشر بالآمال الكبار . لقد كان تحت امرتي شعب بأسره يأتمر بأمرى ابتداء من الفلاح إلى الشيخ الكبير وكلهم على أهبة الاستعداد للتضحية والفداء . وفوق ذلك فإنهم كانوا مستعدين وعن طيب خاطر إلى دفع الضرائب التي لم يسبق للرعاة السماع بها من قبل . ولكن لما كان في استطاعتي الاحتفاظ بميزانية عن طريق الدخل غير المباشر لم تكن الحاجة ملحة إلى فرض ضرائب مباشرة عليهم .

أما الإدارة المدنية فقد نظمت بأسلوب بسيط جدا ، فالبلاد بأسرها كانت مقسمة من قبل إلى مناطق حسب وجود الزوايا فيها . لقد ألزم مشائخ الزوايا ، وهم أكثر الناس فطنة وتأثيرا في مناطقهم ، ألزموا عند مغادرتي بإدارة شئون الحكومة في مجتمعاتهم . ويقوم بمساعدة شيوخ الزوايا مجلس من مشائخ كل القبائل المحيطة برئاسة أكبرهم سنا . وعلى هذا النحو فإن شيخ الزاوية يعد مسئولا على رأس هذا الهيكل الإدارى عن التطبيق الصحيح للقوانين العسكرية والمدنية .



تلاميذ مدرسة معسكر عين أبي منصور في حفل التخرج ١٩١٢ .

أما فيما يخص الجيش النظامي ، فإنه يتألف من ثلاثة ألوية مشاة ويتكون كل لواء من ثلاث كتائب وتحتوي كل كتيبة على ثلاث سرايا وتشتمل كل سرية على مائة وخمسين جنديا وخمس عشرة امرأة كمساعدات في المعسكر . وإضافة إلى ذلك يوجد ثلاث سرايا للمدفعية كل منها مزودة بأربعة مدافع وثلاث بطاريات مدفعية مزودة كل منها بأربعة مدافع . والجدير بالملاحظة أن سلاح المشاة أصبح يطلق عليه اسم « المحافظجي » .(٨٨) ولا يزال الأهالي حتى الآن منخرطين في التدريب على استخدام المدافع الثقيلة والرشاشة . أما سلاح الفرسان فيتألف في الوقت الحاضر من ثلاث سرايا فقط تشتمل كل منها على مائة فارس وقد انضم هؤلاء إلى سلاح المشاة لأنهم لا يحسنون استخدام السلاح . لقد وقع الاختيار مؤخرا في درنة على مجموعة من الفتيان القادرين من بين « المحافظجية » لكي يشكلوا سرية كاملة ويقضون فترة تدريب لمدة خمسة أشهر يعهد إليهم أثناءها بعلم أفواج « المحافظجي » وبعد انقضاء مدة التدريب المذكورة يوزعون على مختلف قطاعات الجيش برتب عرفاء . وإلى جانب ذلك كان هناك سريتان من رجال الشرطة « الجندرمة » عهد إليها بالحفاظ على الأمن العام .

لقد أسس هذا الجيش برمته من لا شيء وكنت أنفق على احتياجاته وتجهيزاته مبلغا شهريا قدره تسعة آلاف جنيه تركي من الدخل المخصص والبالغ مقداره عشرة آلاف جنيه

---

(٨٨) « المحافظجي » يعني الحارس وقد تطور هذا الاصطلاح التركي أثناء حركة عمر المختار في الجبل الأخضر إلى « محافظ » وأصبح أتباعه يعرفون بالمحافظين « المحافظية » .

تركى . ولما كانت التجارة مع المدن المحاصرة محرمة فان كل ما نحتاجه يصل إلينا من مصر . فالسلع الواردة إلى برقة كلها وصل إجمالي قيمتها إلى خمسة وعشرين ألف جنيه تركى شهريًا . وقد فرضت ضرائب على هذه السلع قدرها خمسة وعشرون في المائة على المواد الغذائية وخمسون في المائة على سلع أخرى كالسكر والشاى والملابس وقد حصّل من هذه الضرائب مبلغ قدره ثمانية آلاف وخمسمائة جنيه تركى ، وعلى ذلك فإن الضرائب التي فرضت على تصدير الإبل وما في حكمها بلغت قيمتها اكثر من ألفين وخمسمائة جنيه تركى شهريا وهكذا فإن المبلغ الإجمالي من دخل الضرائب هو أحد عشر ألف جنيه تركى .

لقد تم صرف عشرة آلاف جنيه استرليني كما سبق وأن أحضرت معى شخصيا خمسة آلاف جنيه استرليني . أما الباقي فكانت هناك اعتمادات مالية منها خمسة آلاف جنيه استرليني من الذهب في الاسكندرية والتي يمكن أن تدفع منها مخصصات المشائخ . وإضافة إلى ذلك توجد عشرة آلاف جنيه استرليني من الذهب في خزانة حكومة برقة . (٨٩)

لقد أنشأت عشر مدارس ابتدائية بها حوالى ألف تلميذ ومدرستين للبنات بهما مائة وخمسين تلميذة . وطبقا للاتفاقية مع اسطنبول فقد بعثت بمائتي تلميذ إلى المدارس التركية معظمهم من أبناء الشيوخ وكان من بينهم ثلاثون تلميذا أرسلوا إلى المدرسة العسكرية وعشرون تلميذا للمشاة وستة تلاميذ لسلاح المدفعية وأربعة تلاميذ لسلاح الفرسان وخمسة تلاميذ بعثوا إلى المدرسة الطبية وستة إلى مدرسة البيطرة وأربعة تلاميذ لمدرسة الصيدلة وستون تلميذا إلى مدرسة صف الضباط وخمسة عشر تلميذا لمعاهد المعلمين والبقية أرسلوا إلى مصانع الأسلحة ومؤسسات صناعية أخرى . (٩٠) وقبل رحيلى بأيام قلائل تم تحويل قلعة القيقب الضخمة إلى مدرسة . فهذه القلعة يمكن أن تستخدم كمدرسة عادية وهى ملحقة بمدرسة مهنية وتجارية يمكنها أن تعلم مهارات في شعب تجارية وزراعية وتتبعها مزرعة صغيرة وبها ضابط يقوم بمهام المدير . أما عن النظام المستعمل في هذه المدرسة فإنه ذو طبيعة عسكرية . فلكل تلميذ بندقية يتدرب عليها لمدة ساعتين يوميا ، ويستمر الطلاب في هذه المدرسة لمدة سنتين يتخرجون بعدها كمدرسين في المدارس المتجولة بين القبائل .

(٨٩) تعد هذه محاولة من أنور باشا بإعطاء تقرير مالى نهائي عن كافة أنشطته التي قام بها في قطاع درنة لمدة سنة واحدة ١٩١١ — ١٩١٢ . ويتضح مما أورده من أرقام في تقريره الآنف الذكر أنه صرف مبلغا قدره ثلاثون ألف جنيه تركى .

(٩٠) بعث أنور باشا إلى تركيا في شهر يونية سنة ١٩١٢ ، ٣٦٥ تلميذا معظمهم من أبناء البادية ليتدربوا في الشئون المدنية والعسكرية . عاد من هؤلاء إلى برقة قبل بداية الحرب الكونية الأولى ثلاثون طالبا التحقوا بأحمد الشريف في السلوم أما البقية فقد بقوا في تركيا وساهموا مساهمة فعالة في حروب مصطفى كمال أتاتورك في آسيا الصغرى انظر ايفانز بريتشارد ، ص ١١١ و١١٢ ، وانظر أيضا فيليب ستودارد ص ٢٠٨ .

والأهم من كل ذلك أن شحنة السلاح والذخائر الكبيرة قد تم وصولها إلى الحدود ولذلك فإنه لايفضي شيء . إن الله وحده يدرك مدى صعوبة أن أسلم مرة أخرى في كل شيء أخرته من العدم بعد أن بذلت فيه مجهودات خارقة ولذا فما على الرفاق الذين سأتركهم ورائي إلا مواصلة هذا الجهد .

إني في هذه اللحظات في غاية السعادة لأن سيدى أحمد الشريف ، شيخ السنوسية الكبير ظل وفيًا لإيمانه الراسخ حتى آخر لحظة . فقد رفض بكل فخر واعتزاز هدايا ملك إيطاليا كما رفض الاقتراح الايطالي الداعي إلى إنشاء زاوية كبيرة له في بنغازى ، إنه كان ولا يزال حقا ذلك الرجل صاحب القلب الكبير .(٩١)

(٩١) « لما غادر أنور باشا برقة كان المصريون يتربصون به غير أنه تمكن من الهروب متنكرا على ظهر سفينة إيطالية إلى برنديس ومن هناك هرع مسرعا إلى فينا ومنها إلى القسطنطينية حيث لعب دورا حاسما في مصير بلاده . إن البذور التي غرسها أنور باشا في حملة طرابلس الأولى أتت أكلها في الحرب الكونية الأولى إذ عادت على الايطاليين بالوبال . وانطلاقا من المؤسسات التي أوجدها أنور باشا فإنه بالتعاضد مع الجنرال نورى وجعفر باشا والقبائل تمكن من رفع شعار الحرب ضد الغزاة سجال حتى إن وجود الايطاليين اليوم لا يتجاوز الشريط الساحلي الضيق » ، فردريك برزسكي .

الملحق الأول

ترجمة لشهادة الميلاد المبينة صورة عنها على الصفحة التالية .

شهادة ميلاد

(١) **الاسم** : إسماعيل أنور بي .
(٢) **اسم الوالد ومحل إقامته** / أحمد بي دار عليه اسطنبول .
(٣) **اسم الوالدة ومحل إقامتها** : عائشه هانم ، اسطنبول .
(٤) **عقيدته** : اسلام .
(٥) **رتبته** / مقدم أركان حرب .
(٦) **صفته** / أعزب .
(٧) **أوصافه** : متوسط الطول عيونه قسطلية ولونه قمحى .
(٨) **علامات** / لا شيء .
(٩) **الولاية المنتمى إليها** / ولاية منستر (يوغسلافيا حاليا) .
(١٠) **محل إقامته** / محلة خورستان زقاق شينال شيشمه .

« ترجمة محمد الاسطى »

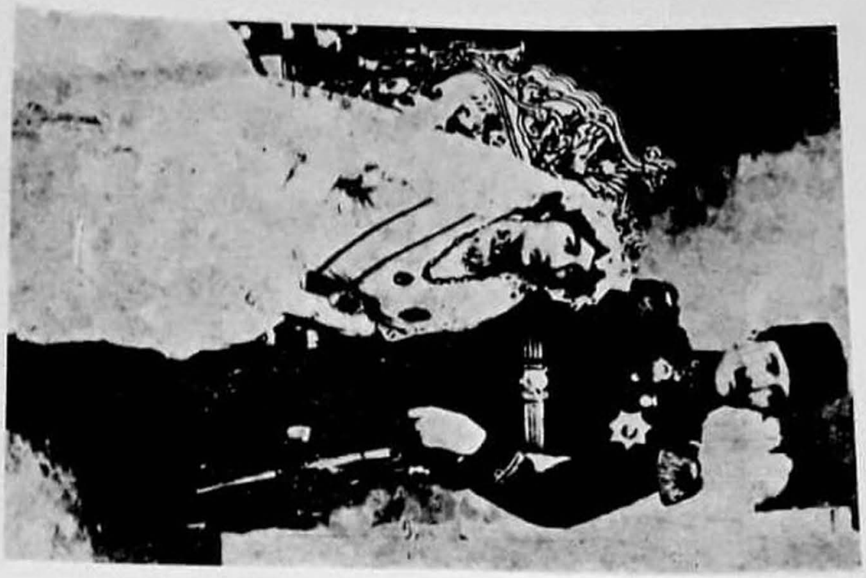
دولت علیهٔ عثمانیه تذکره‌سیدر

اسم و شهرتی	پدری اسمیله محل اقامتی	والده‌سی اسمیله محل اقامتی	تاریخ و محل ولادتی	ملتی	صنعت و ... و اصحاب املاکدن	محل اقامت و ...	معافیت و مکلفیت عسکریه‌سی
[illegible] بگ	مرحوم [illegible] بگ	مرحومه عایشه خانم	۱۲۹۸ [illegible]	اسلام	[illegible]	[illegible]	[illegible]

اشکال				سجل نفوسه قید اولندیغی محل					
بوی	گوز	[illegible]	علامت فارقه‌سی	ولایتی	قضاسی	محله و قریه‌سی	[illegible]	[illegible]	[illegible]
اورته	الا	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	۱۹	[illegible]

بالاده اسم و شهرت و سن و سائر اوصافی محرر اولان [illegible] دولت علیه تابعیتنده اولوب [illegible] قید اولندیغی مصدق اولمق اوزره ایشبو تذکره اعطا قلندی [illegible]

الملحق الرابع



انور باشا في حفل زفافه لناجية سلطان.



المدرسة الحربية التي تخرج منها أنور باشا في ولاية منستر.

الملحق الثالث

الملحق السابع *

برلين في ٨ ديسمبر ١٩١٧

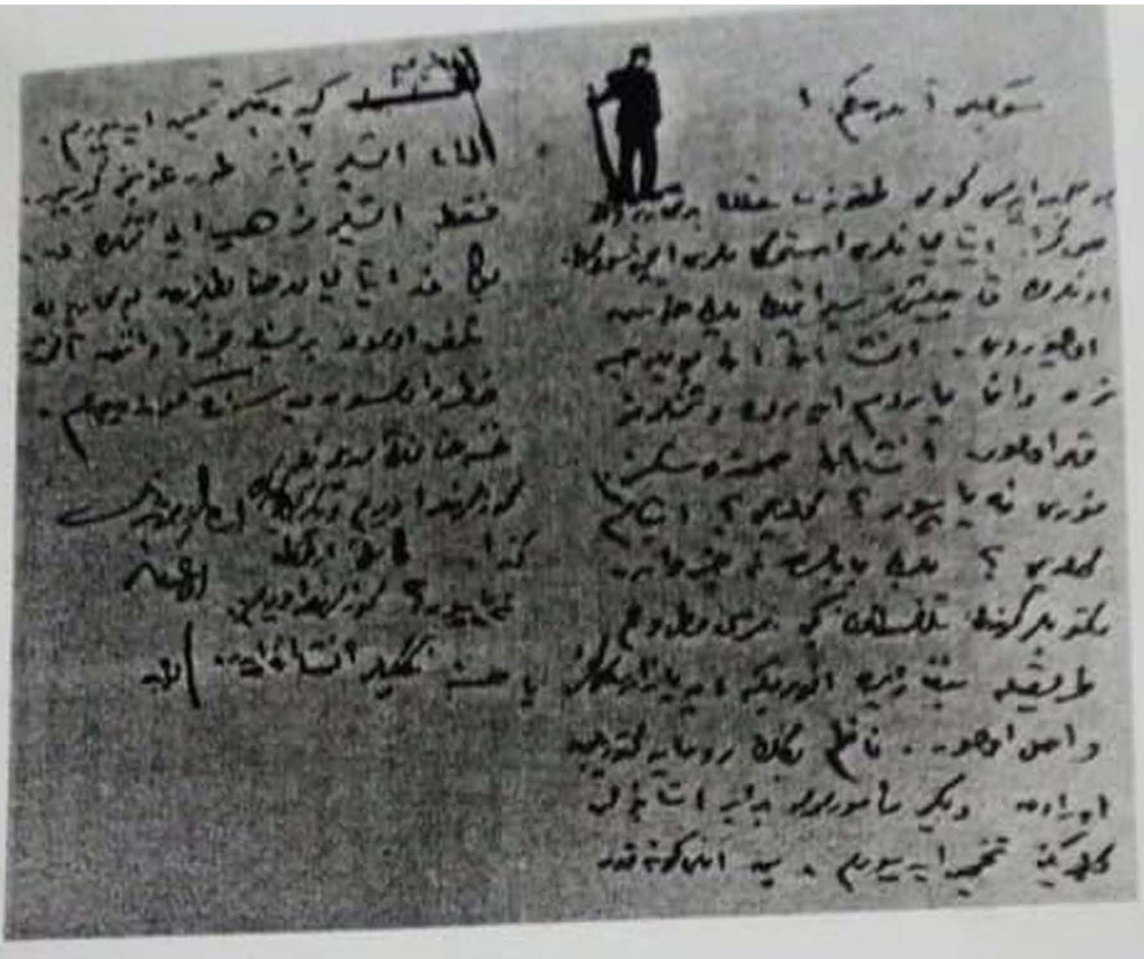
الرقم A41127

إن مقالات سيادة أنور باشا عن حرب طرابلس الغرب ، والتي قمت بترجمتها وإعدادها قد أعيدت إليّ من اسطنبول وقد صححها بنفسه وإنني الآن بصدد تجهيزها للطباعة . إن دار نشر هوغو بروكمان في ميونيخ هار شتراسه ٤٠ ستتحمل أعباء طباعة ونشر هذه المقالات وهذه الدار مشهورة بانتاجها الجيد وإن صاحبها ، السيد بروكمان هو صاحب جريدة مونشن — أو غسبورغر ابندتسايتونغ **München-Augusburger Abendzeitung** ولانجاز طباعة هذا الكتاب الذى سيبلغ عدد نسخ طبعته / ٣٠,٠٠٠ / ثلاثين ألف نسخة ، يتوجب تأمين كمية من الورق بحوالى / ٦٠٠٠ / كغ فيرجى تأمين هذه الكمية من غير تأخير وذلك بموافقة مركز الاقتصاد الحربي لشؤون الجرائد في برلين ، بحيث يصدر هذا الكتاب خلال شهر يناير القادم . لقد وجهت دار نشر بروكمان طلبا مماثلا بهذا الخصوص في ٥ ديسمبر ١٩١٧ ، فالرجاء أن تدعموا هذا الطلب بالتدخل مباشرة لدى مركز الاقتصاد الحربي نظرا لأهمية شخصية المؤلف .

برزبنسكي

ترجمة : د. عماد الدين غانم

* الارشيف السياسي . وزارة الخارجية الالمانية .



الملحق الخامس

والدتي الحبيبة .

في هذا اليوم السبت طردنا الايطاليين إلى تحصيناتهم بعد معركة دامت تسع ساعات إن مشاهدة انهزامهم يسر جدا . إن شاء الله يمدنا بعونه دائما لقهر أعدائنا آملا أن تكون صحتك طيبة . ماذا يفعل نورى ؟ هل وصل وهل وصلت حقائبي من برلين ؟ ماهي أخبار الوالد ؟ أرسلوا خطاباتكم مثل البرقيات إلى بنغازى عن طريق مرسى مطروح — أنور — سنصل بإذن الله . كل أعمالنا تسير سيرا حسنا . إن هذه الورقة قد اخذتها من محفظة أحد الضباط الايطاليين الذين قتلوا في هذه المعركة فاحتفظى بها للذكرى . قبلى حسناء ومديحه والصغار ارطغرل وكامل ماذا يصنعان وأبناء حسناء إن شاء الله يكونون بخير .

ابنكم أنور

السبت ١٦ / ١٢ / ١٩١١ م

الملحق السادس

شهادة وفاة

الشهيد المحترم أنور باشا

في سبيل غاية مقدسة نال رتبة الشهادة في محل شاه خان من ولاية « بلخ جوان » في ٤ أغسطس ١٩٢٢ م ، هجرى ١١ ذى الحجة ١٣٤٠ هـ الموافق ليوم الجمعة ثاني يوم عيد الأضحى عند الظهر . سال دمه الطاهر على تراب « بلخ جوان » في موقف رجولي وبطولي .

امضاء وختم

جيش الثورة الطورانية

" شهيد محترم انور پاشا حضرتلری "

بر مقدس غایه یولنده بخارای شریفه «بلخ جوان»
ولایتنك « چه غان » نام محلنده میلادی ٤ اغستوس ١٩٢٢
ودوى ٢٢ تموز ١٣٣٨ و قمرى ١١ ذى الحجه ١٣٤٠ سنه‌لرینه —
قوربان بایرامنك ایكنجى جمعه كونى كوندوز اوكله
وقتى قریب بر زمانده هوده پاك محل مذكور طوپراقلرى
اوستنه آقتیغى قهرمانانه و مردانه بر صورتده
رتبهٔ شهادته نائل اولمشدر . .



قائد جبهة تركستان وامير الجيش الاسلامى
في بخارى نائب انور باشا العقيد على رضا

المصادر العربية

ارسلان ، شكيب . **حاضر العالم الاسلامي** . المجلد الثاني ، الطبعة الرابعة بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٧٣ .

علي ، محمد كرد . **الرحلة الانورية إلى الأصقاع الحجازية والشامية** . بيروت : المطبعة العلمية ، ١٩١٦ .

بوهدمه ، محمود . مقابلة أجريت مع المجاهد محمود بوهدمه في طرابلس : بتاريخ ١٤ يوليو ، ١٩٧٨ م .

بن علي ، عبد المالك بن عبد القادر . **الفوائد الجليلة في تاريخ العائلة السنوسية الحاكمة في ليبيا** . القسم الثاني ، دمشق : مطبعة دار الجزائر العربية ، ١٩٦٦ م .

التليسي ، محمد خليفة . **معجم معارك الجهاد الليبي ١٩١١ — ١٩٣١** بيروت : دار الثقافة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٢ م .

جيوليتي ، جيوفاني . مذكرات جيوليتي . **الأسرار العسكرية والسياسية لحرب ليبيا ١٩١١ — ١٩١٢** . تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي ، طرابلس : منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان . ١٩٧٣ م .

الحداد ، محمد علي . **حاضر طرابلس الغرب** . ١٩١٩ .

العيساوى ، محمد الأخضر . **رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار** . الطبعة الأولى القاهرة : مطبعة حجازى ، الطبعة الأولى ١٩٣٦ .

قنديل ، حسن . **فتح دار فور** . الاسكندرية : ١٩٣٧ م .

بدون مؤلف . **نضال الشعب الليبي : معركة القرقف** درنة : مديرية الاعلام والثقافة بدون تاريخ .

جريدة الشعب . الأعداد ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، طرابلس :

المصادر الأجنبية

Aldemir, Sevket S.
Enver Pasa. Remzi Kitabevi Ankara – Istanbul: 1972, 3 vols.

Ali, Patria R.,
"Enver Pasha" *Egyptian Historical Review* vol. 22 (1975) 3–36.

Bennett, E. N.,
With the Turks in Tripoli: Being some experiences in the Turco-Italian War of 1911. London: Methuen and co. ltd., 1912.

Evans-Pritchard.
The Sanusi: of Cyrenaica. London: Oxford at the Clarendon press 1968.

Giolitti, Giovanni.
Memoirs of my Life. Trans. from Italian by Edward Storer, London: Chapman and Dodd Ltd., London and Sydney 1923.

Jarvis, C. S.
Three Deserts. London: 1936.

Khalil, Muhammad.
The Arab States and the Arab league: A Documentary Record. Vol I Constitutional Development, Khayats Beirut: First Ed., 1962.

McCullagh, Francis.
Italy's War for a Desert: Being some experiences of a war-correspondent with the Italians in Tripoli. Chicago: F. G. – Browne and Co. Chicago London, Herbert and Daniel 1913.

Murray, Archibald.
Sir Archibald Murray's Despatches. June 1916 – June 1917. London: J. M. Dent and Sons Ltd. (London and Toronto, 1920).

Stoddard, Philip H.
The Ottoman Government and the Arabs 1911 to 1913: A preliminary study of the *Teskilati Mahsusa*. P. H. D. Dessertation 1963. History Dept. Princeton University.

Williams, R. Gwatkin.
In the Hands of the Sanusi. London: G. Arthur Pearson Ltd., 1916.

"The End of Enver Pacha". *Daz Deutche Allgemeine Zeitung*, (German General Newspaper) (4, March 1931).